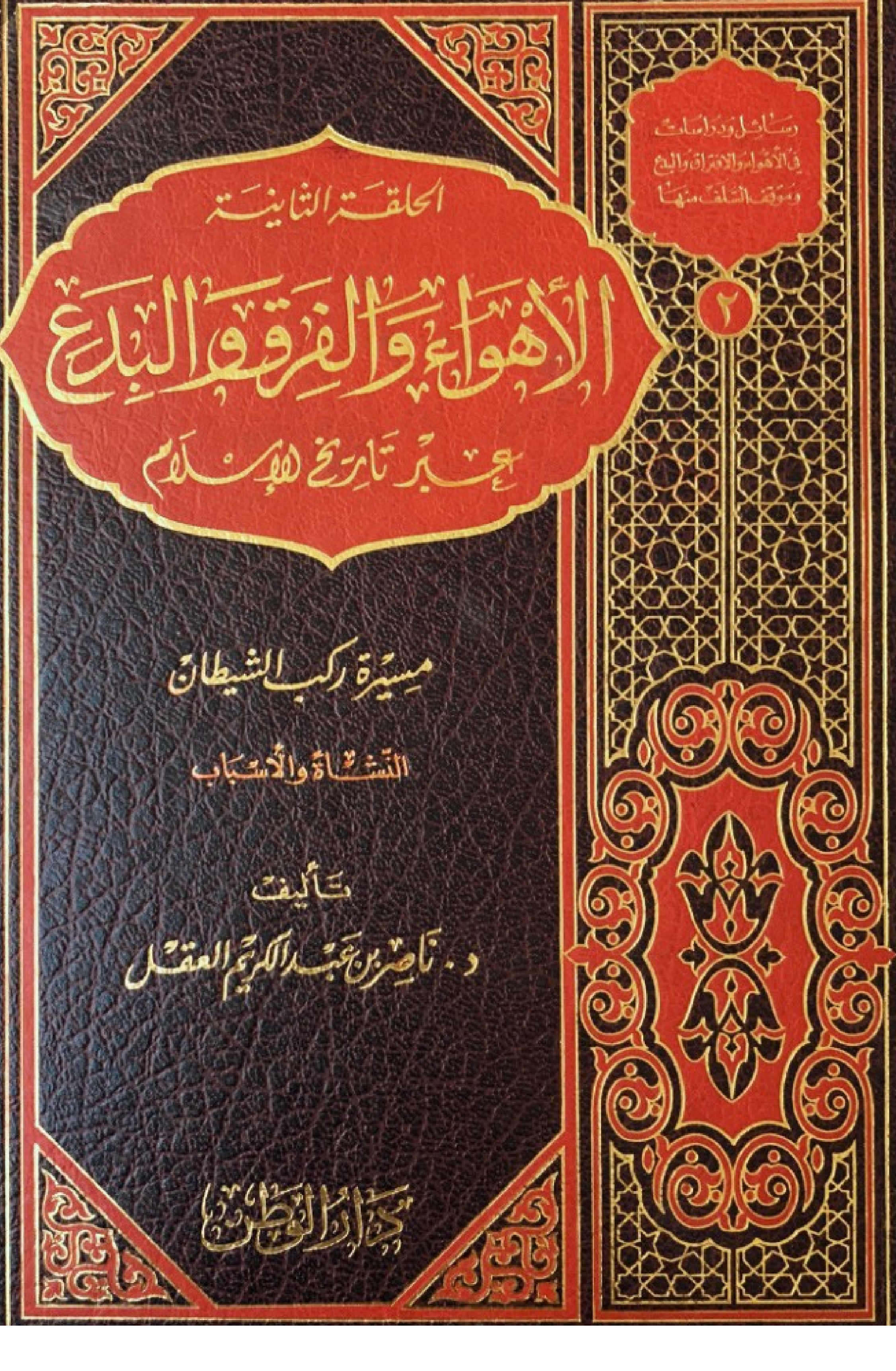


رسائل ودراسات
في الأهواء والافتراق والبدع
وموقف السلف منها
٢
الحلقة الثانية
الأهواء والفرق والبدع
عبر تاريخ الإسلام
مسيرة ركب الشيطان
النشأة والأسباب
تأليف
د. ناصر بن عبد الكريم العقل
دار الوطن

رسائل ودراسات
في الأهواء والافتراق والبدع
وموقف السلف منها

الحلقة الثانية

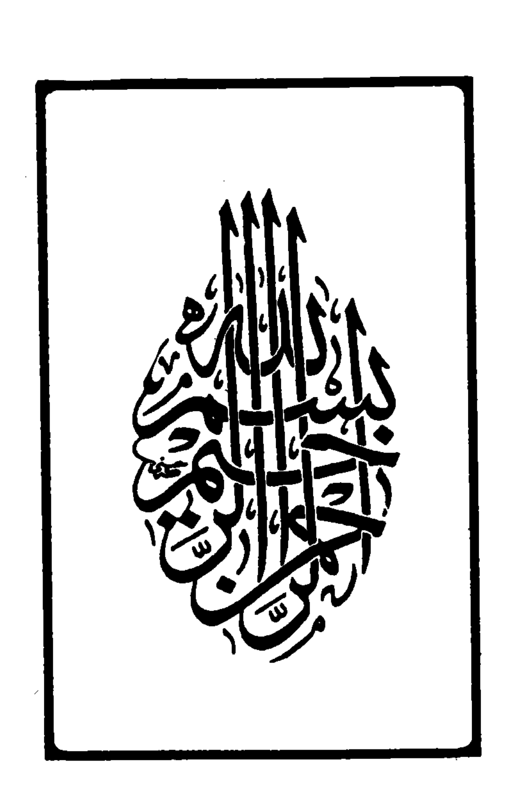
الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام

«مسيرة ركب الشيطان»

النشأة والأسباب

الدكتور
ناصر بن عبد الكريم العقل

دار الوطن
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩


بسم الله الرحمن الرحيم

الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

مقدمة الحلقة الثانية

الحمد لله القائل سبحانه ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[سورة الأنعام، الآية:١٥٣]. والصلاة والسلام على نبينا محمد البشير النذير، القائل: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»(١).

ورضي الله عن الصحابة الكرام الذين حملوا الأمانة وجاهدوا في الله حق جهاده وذادوا عن السنة، وعن تابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين التزموا السنة والجماعة، وساروا على منهاج النبوة واتبعوا سبيل المؤمنين، وجانبوا سُبل الأهواء والافتراق والبدع وأهلها.

وبعد:

هذه هي الحلقة الثانية من (رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع) وموضوعها: الأهواء والفرق والبدع ـ النشأة والأسباب، وهي عرض لمسيرة (ركب الشيطان) عبر تاريخ المسلمين، لا لمجرد العلم فحسبك من الشر سماعه، إنما للتحذير من سبيل الهالكين، وتلبيس المضلين.

وقد حرصت على استقراء أوائل الأهواء والمقالات، ومن قال بها من أهل الأهواء، مع بيان الأسباب التي أدت إلى ظهورها في الأمة، والوقوف على مواطن العبرة فيها، والتحذير من بواعث البدع والافتراق،

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب (١٣) الحديث (٨٦٧) ٢/ ٥٩٢.

وتحليل ذلك من خلال العرض، وذكر مواقف السلف وأقوالهم في مواطنها من البحث، مع الحرص على الايجاز، والاستغناء عن التفصيلات، والاقتصار على الأصول والمهمات قدر الإمكان، وذلك نصحًا للأمة، وتحذيرًا من الوقوع فيما وقع به أهل البدع الأولون، وتنبيهاً على مواطن الزلل، ومسالك الضلال والأهواء لئلا يقع فيها المسلمون الذين ينشدون الحق والسنة، ويلتمسون طريق الاستقامة، لاسيما ونحن نرى ـ بحمد الله ـ بوادر صحوة عامة في المسلمين، تتلمس الحق وتحرص على السنة، ونهج سبيل المؤمنين، وأمامها ركام وتراث ثقيل، من البدع الموروثة والأهواء المستحكمة، والفرق المضلّلة، والطرق المهلكة، والمؤلفات والكتب الضالة، أو المشوبة، فاقتضى الأمر ضرورة التنبيه عليها والتحذير من غوائلها، ليعود المسلمون إلى مصادرهم النقية، ومشاربهم الصافية: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وهدي السلف الصالح، وأئمة الهدى، وليعرف القارىء الكريم، أن الأهواء والبدع والفرق نبتت في منابت السوء، وسلكت سبل الغواية، وانحدرت من جذور الجاهليات والفلسفات القديمة، والملل والنحل الضالة والأهواء المردية، وافتاتت على الإسلام والأمة، ولبست على فئام من المسلمين وانخدعوا بزيف دعاواها وفتنوا بها، رغم تحذير المشفقين ونصح الناصحين وحزم الولاة.

والتاريخ يعيد نفسه، فقد رأينا الفرق والأهواء تنشط من جديد، بالأسباب والأساليب الوسائل الأولى، وتزيد عليها المستحدثات الحديثة وتكالب الأمم، مما ضاعف المسئولية في ضرورة النصح والتحذير، فإن الرائد لا يكذب أهله.

هذا وأسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يوفق علماءهم وولاتهم وشبابهم إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الاستقامة، ويذل فيه أهل الغواية، وأن يقينا شر الفرقة والفتن والأهواء. ولا يؤاخذنا بذنوبنا وتقصيرنا إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم، وبارك على الناصح الأمين نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين.

وكتبه

ناصر بن عبدالكريم العقل

القسم الأول

في

نشأة الأهواء والافتراق والبدع

توطئة في:
نوازع الأهواء وبذورها الأولى قبل الاسلام

١ ـ (*) إن أول معارضة لأمر الله وشرعه

إنما حدثت من إبليس لعنه الله، لما أمره الله بالسجود لآدم اعترض على أمر الله. كما قال تعالى عنه: **﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[سورة البقرة، الآية: ٣٤]. وكانت حجته: **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**[سورة ص، الآية: ٧٦]. فقد عارض الشرع بالعقل، وصارت هذه الحجة الفاسدة قاعدة لأهل الأهواء من خصوم الأنبياء.

وهي أول حجة عقلية ظهرت في الإسلام من القدرية وأهل الكلام والخصومات.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله:

«إن معارضة الوحي بالعقل ميراث الشيخ أبي مرة[1]، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه، فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين:

إحداهما:

قوله: **﴿أنا خير منه﴾** فهذه هي الصغرى، والكبرى محذوفة،

(*) جعلت مفردات الأهواء والمقالات ذات أرقام متسلسلة من أول البحث إلى آخره بصرف النظر عن تعدد العناوين وتداخلها.

(١) أبو مُرة هو إبليس لعنة الله عليه. انظر لسان العرب مادة (مرر) ٤١٧٧/٦.

تقديرها: (الفاضل لا يسجد للمفضول)، وذكر مستند المقدمة الأولى وهو أيضًا قياس حملي(*) حذف إحدى مقدمتيه فقال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾(١).

وقال: «وأما رؤوس النفاة والمعطلين: ففرعون، إذ يقول: ﴿ياهامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا﴾[سورة غافر، الآيتان: ٣٦، ٣٧].

وجنوده كلهم.

ونمرود بن كنعان.

هذا خصم إبراهيم الخليل وذاك خصم موسى الكليم.

وأرسطاطاليس وبقراطيس وأضرابهما، وطمطم وتنكلوسا، وابن وحشيه وأضرابهم.

وابن سينا والفارابي وكل فيلسوف لا يؤمن بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه.

وأما عوامهم فاعتبر عوام النصيرية والإسماعيلية والدرزية والحاكمية، والطرقية والعرباء.

وعبادهم البخشية والطوسية، وعلماؤهم السحرة، وعساكرهم المشركون، والقرامطة الذين هم أعظم الأمم إفسادًا للدنيا والدين، فليعتبر العاقل خواص هؤلاء وهؤلاء وعوام هؤلاء وهؤلاء وليقابل بين الطائفتين وحينئذ يتبين له أنه ما كان ولا يكون ولي لله إلا من أهل

(*) القياس الحملي هو الذي يتكون من مقدمتين ونتيجة. = انظر هامش الصواعق المرسلة بتحقيق د/ علي الدخيل الله ٣/٩٧٨.

(١) الصواعق ٣/٩٩٨/٩٩٩ وراجع ما بعده.

الإثبات وما كان ولا يكون ولي للشيطان إلا من أهل النفي والتعطيل»(١) أ. هـ

وصارت مخاصمة الأنبياء ورد الحق الذي جاءوا به من عند الله منهجا لأهل الأهواء، كما فعل قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهود وصالح، وكما فعل المشركون مع نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وكما فعل أهل الكتاب والمنافقون.

ثم **أهل الأهواء** الذين خرجوا عن السنة والجماعة من الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام، كما قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون، ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾**[سورة الأنعام، الآيتان: ١١٢، ١١٣].

قال أبو الحسين الملطي:

«قال جماعة من التابعين - رحمهم الله: إن أول من قاس إبليس، يريدون أنه قاس ليدفع بقياسه ما أمر به نصًا؛ لأن الله - عز وجل - أمره بالسجود لآدم فقال: **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**[سورة ص، الآية: ٧٦]، يريد أن قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع للأقوى، وأن آدم أولى بالسجود فوضع إبليس القياس في غير موضعه؛ لأن ذلك القياس من إبليس إنما يستعمل مثله إذا لم يقع أمر ولا نص، فلما استعمل إبليس هذا مع وجود

---

(١) الصواعق ٢/ ١١٢٠/ ١١٢١.

النص والأمر اللازم كان مخطئًا في قياسه. فصار قياسه(*) الفاسد كافرًا ملعونا، وكان قبل من خيار الملائكة، فنعوذ بالله من مكره وسوء ما سبق من الكتاب الأول»(١).

«**قال أبو الحسين (الملطي)**: وأهل البدع وافقوا إبليس في مجال القياس وتركوا النص من التنزيل وتأولوا تأويلاً فاسدًا، فعدلوا عن نص الخبر إلى القياس الفاسد»(٢).

٢ - أول شرك ظهر في البشرية:

أول شرك ظهر في البشرية هو شرك قوم نوح، حينما عبدوا ودًّا، وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا. وهي أسماء رجال صالحين، تعلق بهم قومهم، وتدرج بهم إبليس في حبهم وتقديسهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى(٣).

٣ - أول شرك حدث في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام:

ويقال: إنه أول ما ظهر الشرك في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة (عمرو بن لحي الخزاعي) الذي رآه النبي، صلى الله عليه وسلم يجر أمعاءه في النار، وهو أول من سيب السوائب، وغير دين إبراهيم، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في**

(*) كذا في المطبوعة. وأظنها: بقياسه.

(١) التنبيه ٨١، ٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/٣٧٢، ٣٧٣.

النار وكان أول من سيب السوائب»[١].

قالوا: إنه ورد الشام، فوجد فيها أصنامًا بالبلقاء يعبدها القوم، يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم، فنقلها إلى مكة وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام»[٢].

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب - باب (٩) الحديث (٣٥٢١) فتح الباري ٦/٥٤٧ ومسلم ٤/٢١٩١، ٢١٩٢ وانظر كتاب الأوائل لابن أبي عاصم ٧٢ رقم (٤٤).

(٢) انظر الفتاوى ٢٧/٩٠.

نوازع الأهواء والافتراق والبدع
وبذورها الأولى في تاريخ الإسلام

أولاً: نزعات الأهواء وبذورها في عهد النبي ﷺ:

٤ ـ **في عهد النبي ﷺ تمثلت بذور الأهواء في المنافقين وأهل الكتاب** ـ بخاصة اليهود ـ فكانوا ينازعون الرسول، صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من الحق والهدى، بالتكذيب، والاستهزاء، والتشكيك، والإعراض، وكانوا يتحينون كل فرصة للطعن في الدين والرسول، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين، وهذه الأمور هي أصول الأهواء وبذورها الأولى ومن ذلك:

٥ ـ **قصة ذي الخويصرة**:

ومن أظهر نزعات الأهواء وأصولها وبذورها في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، قصة ذي الخويصرة، الذي اعترض على قسمة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه أصل الخوارج.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما:

عن أبي سعيد قال: بينما النبي، صلى الله عليه وسلم، يقسم جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: **ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟** قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. فقال: **دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرمية... إلى قوله: «آيتهم رجل إحدى يديه ـ أو قال ثدييه ـ مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من**

الناس) قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي، صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عليًا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي، صلى الله عليه وسلم. قال فنزلت فيه ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ وهذا لفظ البخاري(*) فكان هذا هو سلف الخوارج، حيث كانوا على نهجه في الموقف من نصوص الشرع، ومن أئمة الدين.

ظهور دعاوى النبوة:

٦ ـ وفي آخر عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وبُعيد وفاته، ظهر المتنبئون الكذابون، وهم:

١ ـ مسيلمة الحنفي في اليمامة في ديار بني حنيفة وسط جزيرة العرب(١).

٢ ـ وطليحة الأسدي في شمال جزيرة العرب(٢).

٣ ـ وسجاح التلغبية في شرق جزيرة العرب(٣).

٤ ـ والأسود العنسي في جنوب جزيرة العرب. وقد قتل بأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته، صلى الله عليه وسلم، بأيام(٤).

٥ ـ ولقيط بن مالك الأزدي في جنوب شرق جزيرة العرب (عمان)(٥).

وقد تبع هؤلاء خلق كثير من قبائلهم، وكانوا هم مادة الردة

(*) صحيح البخاري الحديث (٦٩٣٣)، فتح ١٢/ ٢٩٠، وصحيح مسلم (مع اختلاف يسير) ٢/ ٧٤٤.

(١) انظر الطبري ٢/ ٢٢٥، ٢٧٥. والكامل ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٥، ٢٤٣ - ٢٤٧.

(٢) انظر الطبري ٢/ ٢٢٥، ٢٦٠ والكامل ٢/ ٢٣١ - ٢٣٥.

(٣) انظر الطبري ٢/ ٢٦٨ والكامل ٢/ ٢٣٨، ٢٤١.

(٤) انظر الطبري ٢/ ٢٢٤، ٢٤٧ والكامل ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٣ - ٢٥٦.

(٥) انظر الطبري ٢/ ٢٩١ والكامل ٢/ ٢٥٢.

وطلائعها. وقاتلتهم جيوش الصديق - رضي الله عنه - ومعه الصحابة كلهم، وهزموا مع سائر المرتدين.

وبذلك قطع الله دابرهم ولم ينشأ عن حركاتهم افتراق ولم يبق لهم أثر في عقيدة الأمة، ولا منازعة للأئمة. وبقيت الأمة على السنة ومنهاج النبوة، والخلافة الراشدة إلى أن ظهرت الفتنة على عثمان رضي الله عنه وما أعقبها من أحداث تمخضت عن افتراق أهل الأهواء كما سيأتي بيانه.

ثانيا ـ نزعات الأهواء وبذورها الأولى في عهد الخلفاء الراشدين

٧ ـ **وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كانت الردة**، وكان المرتدون بين عائد إلى الكفر والشرك، أو متبع لأحد المتنبين الكذابين، أو مانع للزكاة أو جاهل يظن الإسلام مرتبطاً بشخص النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنه بموته انتهى أمر الإسلام، وبين دهماء تتبع كل ناعق أو تسوقها عصبية القبيلة أو الزعيم أو نحو ذلك.

وقد تصدى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وسائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين لهذه الردة حتى هيمن الإسلام على جميع جزيرة العرب.

ولم تورث هذه الأحداث افتراقًا ولا فرقًا وبقيت جماعة المسلمين واحدة وعلى عقيدة واحدة وإمام واحد كلها على السنة ومنهاج النبوة.

وفي عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ كانت الأمة كما هي في عهد الصديق كأعز ما تكون وأجمعه للشمل كلها على السنة والجماعة.

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ حازمًا في حماية الدين وسد أبواب الابتداع والأهواء وكذا بقية الصحابة في جميع الأقطار، رغم توسع البلاد الإسلامية وتناميها بسرعة مذهلة، ورغم دخول أمم وملل ونحل كثيرة ضمن الأمة؛ إما أهل ذمة أو ممن أسلموا وهم حديثو عهد بفكر وأديان ومذاهب شتى، فكان عمر والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يذودون عن الدين ويحمون جناب العقيدة والتوحيد. رغم ذلك فقد ظهرت نزعات الابتداع الفردية ومن ذلك:

٨ ـ قصة صبيغ بن عسل التميمي :

«عن نافع مولى عبدالله بن عمر أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه، فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل فقال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة.. فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبره، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلي قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته»(١).

وكان موقف المسلمين كلهم مع عمر قويًا وحازمًا ضد البدع، فلذلك هجروا صبيغًا امتثالاً لأمر أمير المؤمنين، وإدراكًا لخطورة الأهواء وأهلها حتى قال عثمان النهدي لما كتب لهم عمر في عدم مجالسته: «ولو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه ولربما قال لما جالسناه»(٢).

٩ ـ تعلق بعض الناس بالآثار :

وفي عهد عمر ـ أيضًا ـ حدث تعلق بعض الناس بالآثار والبقاع

---

(١) سنن الدارمي ١/٥٥، ٥٦. والبدع والنهي عنها، ٥٦، ٥٧. والإبانة ١/٤١٤، ٤١٥.

(٢) ذم الكلام للهروي (٢٥٧) مخطوط. والإبانة ١/٤١٤.

والمساجد التي لم يرد الشرع بفضلها، فكان عمر - رضي الله عنه - والصحابة يمنعون من ذلك ويحذرون منه .

فقد روى ابن وضّاح - وغيره - بسنده :

«عن المعرور بن سويد قال خرجنا حجاجًا مع عمر بن الخطاب فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه فقال عمر ما شأنهم؟ فقالوا هذا مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى أحدثوها بيعًا فمن عرضت له فيه صلاة فليصل ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض»[1] .

وفي رواية أخرى قال عمر: «أين يذهب هؤلاء؟ قيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هم يأتون يصلون فيه . فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعا من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها»[1].

قطع عمر لشجرة الحديبية:

وروى ابن وضاح - أيضًا - بسنده :

«أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي، صلى الله عليه وسلم فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة»[3].

---

(١) البدع والنهي عنها ٤٢ والاعتصام ١/٣٤٦.
(٢) البدع والنهي عنها ٤١ والاعتصام ١/٣٤٦.
(٣) البدع والنهي عنها ٤٢ والاعتصام ١/٣٤٦. > ضعيف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وكـان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتناوبون مكانًا يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك ويقول: إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب»[١].

١٠ - قصة النبطي بالشام:

ومن ذلك قصة النبطي (قسطنطين الجاثليق بطريك الشام):

وهو الذي اعترض على عمر - رضي الله عنه - وهو يخطب بالشام حينما قال عمر: «ومن يضلل [الله] فلا هادي له»[٢] فاعترض النبطي قائـلًا: إن الله لا يضــل أحـدًا! فهدده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[٣].

قلت: هذه المقولة هي أصلٌ في بدعة القدرية التي ظهرت في آخر القرن الأول الهجري على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ثم المعتزلة بعد ذلك. أي أنها تقوم على نفي أن يكون الإضلال داخلًا في تقدير الله تعالى وعلمه السابق.

١١ - قصــة الصـخـرة:

وحدثت في عهد عمر قصة الصخرة حينما استشار عمر - رضي الله عنه - (وهو في بيت المقدس) كعب الأحبار أين يصلي فقال كعب:

---

(١) منهاج السنة ١/٤٨١.

(٢) جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفعلها.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٢/٤٣٣ وانظر القصة في الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٢/٢٧٤ رسالة ماجستير تحقيق محمد الحلواني.

«إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك» فقال عمر رضي الله عنه «ضاهيت اليهودية. لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتقدم إلى القبلة فصلى»(١)، وقوله ضاهيت اليهودية أي تشبهت باليهود المغضوب عليهم في تقديس الأحجار والآثار ونحوها ولأن الصخرة يقدسها اليهود ويعتقدونها قبلة.

قلت: وهذه النزعة أي نزعة تقديس الأشياء والأشخاص صارت في أهل البدع والمقابرية فيما بعد، وأول من أظهرها ونشرها الرافضة ثم أصحاب الطرق الصوفية. ثم مالبث أن صارت سمة من سمات أهل الأهواء غالباً.

١٢ ـ بدعة الذكر الجماعي:

في عهد عمر ـ كذلك ـ حدثت النزعة إلى (بدعة الذكر الجماعي والدعاء الجماعي): فأنكرها عمر وغيره من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كابن مسعود وأبي موسى الأشعري. فقد روى ابن وضّاح بسنده:

«عن أبي عثمان النهدي قال: كتب عامل لعمر بن الخطاب إليه أن ههنا قومًا يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر أقبل بهم معك فأقبل. وقال عمر للبواب أعد سوطًا. فلما دخلوا على عمر علا أميرهم ضربًا بالسوط. فقلت يا أمير المؤمنين لسنا أولئك الذين

---

(١) انظر مسند أحمد ١/٣٨ واقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٣٥ والبداية والنهاية ٧/٥٨، وقال ابن كثير: «هذا إسناد جيد» وأن الحافظ المقدسي اختاره في المستخرج. والمنار المنيف ٨٨، ٨٩.

يعني أولئك قوم يأتون من قبل المشرق»[١].

ثم حدثت هذه البدعة بعد ذلك في البلاد الجديدة المفتوحة في العراق. كما سيأتي.

١٣ - نزعة الخصومات في الدين:

وكذلك ظهرت نزعات الخصومات في الدين والنظر فيما لا تحيط به العقول، وإثارة المسائل التي نهي عنها والتي ليس وراءها عمل.

ويتمثل هذا في قصة صبيغ بن عسل وقد سبق الحديث عنها، ثم تسلسلت الخصومات وتطورت وكان منها:

- **خصومات** الثوار على عثمان رضي الله عنه.
- **ثم خصومات** الخوارج في عهد علي - رضي الله عنه - وكذلك الشيعة.
- **ثم خصومات** القدرية والمرجئة في النصف الثاني من القرن الأول.
- **ثم خصومات** الجهمية والمعتزلة في أول القرن الثاني. . وهكذا حيث صارت الخصومات في الدين من مناهج أهل الأهواء وأصولهم.
- **ثم خصومات** أهل الكلام في القرن الثالث وما بعده.
- **ثم خصومات** الفلاسفة وأهل البدع في القرن الرابع وما بعده. وهكذا.

ومن أول أمثلة: ذلك قصة الشاب الذي حيرت الخصومة عقله.

---

(١) البدع والنهي عنها ١٩. ويقصد ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من أن الفتن تخرج من المشرق.

فقد أخرج ابن بطة «عن أبي اليقظان: أن رجلاً من المسلمين أتى عبدالله بن العباس - رضي الله عنه - بابن له فقال: لقد حيرت الخصومة عقله وأذهبت المنازعة قلبه وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبدالله: امدد بصرك يا ابن أخي ما السواد الذي ترى، قال: فلان، قال: صدقت، قال: فما الخيال المسرف من خلفه[1]، قال: لا أدري، قال عبدالله: يا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدًّا محدودًا من دونها حجابًا مستورًا فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها وحدودًا لا يتعداها، قال: فرد الله عليه غارب عقله وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه والنظر فيما لا ينفعه والتفكير فيما يحيره»[2].

قلت: وهذا مثل عظيم وموعظة سديدة، لكل خائض فيما لا يعلم، وكل متكلم بالغيب، فإن كل ما أخبرنا الله به من مسائل الصفات والقدر والسمعيات ونحوه مما خاض فيه أهل الأهواء غيب، والكلام فيه رجم بالغيب، فافهم رعاك الله.

١٤ ـ أول فتنة وقعت في الأمة وفرقتها وقد أخبر النبي، ﷺ بها:

أول فتنة وقعت في هذه الأمة وفرقتها هي الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقتله، وقد أخبرنا بها النبي، صلى الله عليه وسلم.

فقد جاء في حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا جلوسا عند عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله، صلى

---

(١) يظهر والله أعلم - أنه أراد بهذا ضرب المثل للتفكير فيما لا أصل له من الخيالات والأوهام. فقول: (فما الخيال المسرف) يفهم منه أنه ليس بشيء إنما يفترضه لبيان أنه وهم لا تتعلق به العقائد ولا ينبغي التفكير فيه.

(٢) الإبانة ١/٤٢٢.

الله عليه وسلم، في الفتنة؟ قلت: أنا. كما قاله. قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريء قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال إذن لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال نعم. كما أن دون الغد الليلة. إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقًا فسأله، فقال: الباب عمر» أخرجاه في الصحيحين(١).

فمن هذه الفتنة نشأت أصول كثير من الأهواء والفرق منها:

- ظهور الخوارج والتكفير والنزاع في حكم الفاسق المليّ وكثير من أصول الخوارج.
- ظهور الشيعة والغلو في علي وآل البيت وأكثر أصول الرفض والباطنية.
- منازعة إمام المسلمين واستحلال قتاله وقتله والتدين بذلك. وصار ذلك أصلاً من أصول الخوارج وغيرهم وسمة من سمات أهل الأهواء.
- الخروج على المسلمين وجماعتهم وقتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم.

---

(١) صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة باب (٤)، فتح الباري ٢/٨، وانظر صحيح مسلم ١/١٢٨، ١٢٩ كتاب الإيمان باب ٦٥.

وبعد هذه الفتنة وقع الافتراق والفرقة في هذه الأمة إلى يوم القيامة كما هو ظاهر الحديث والله أعلم.

يقول البربهاري: «وكان قتله (يعني عثمان) أول الفرقة وأول الاختلاف فتحاربت الأمة وافترقت واتبعت الطمع والهوى والميل إلى الدنيا»(١).

وهذه هي أول فتنة أدت إلى المنازعة والخروج على إمام المسلمين وقتله:

ومن خلال الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ بدأت علامات الأهواء تظهر، لاسيما مع اتساع الفتوح، وكثرة الأموال وبسط الدنيا التي خشي النبي، صلى الله عليه وسلم، على أمته منها، حيث قال: **«أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»** (٢).

مراحل الفتنة على عثمان وأطوارها:

وقد مرت الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ بمراحل وأطوار انتهت بقتله ظلمًا. على النحو التالي:

أ ـ بدأت بذور الأهواء والفتنة همسا:

وبدأت بذور الفتنة في أحاديث هامسة تقدح في أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ وتؤلب عليه، وقد وجدت آذانا صاغية من طوائف من

(١) شرح السنة للبربهاري ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري - فتح الباري الحديث (٣١٥٨) ٦/٢٥٨ ورقم (٤٠١٥) ٧/٣١٩، ٣٢٠ ومسلم الحديث رقم (٢٩٦١) ٤/٢٢٧٣.

الدهماء والرعاع والأعراب والشبان الأحداث الذين لم يتربوا على العلم والفقه في الدين، وغذّاها طوائف من الموتورين من سبايا الأمم وبقايا الملل والنحل والديانات والمذاهب التي هيمن على بلادها الإسلام. ومع ذلك فإن هذه الأحاديث الهامسة لم تؤثر على الصحابة ولم تفرق جماعتهم بل قاوموا ما ظهر منها، وما بطن فأمره إلى الله، والله غالب على أمره.

قال إسحاق النيسابوري: «قرأت على أبي عبدالله: بشر بن شعيب قال: حدثني أبي عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبدالله قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني، فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان، فتكلم كلاما طويلا ـ وهو امرؤ في لسانه ثقل ـ فلم يكد يقضي كلامه في سريح(*)، فلما قضي كلامه قلت: إنا كنا نقول ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، حي: أفضل أمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وأنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسًا بغير حق، ولا جاء من الكبائر، ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما يريدون أن يكونوا كفارس والروم ولا يتركون أميراً إلا قتلوه. قال ففاضت عيناه بأربع من الدمع، ثم قال: اللهم لا نريد ذلك»[1].

فافهم هذا الفقه العظيم من سالم بن عبدالله واعتبر به رعاك الله فقد تحتاجه اليوم.

(*) يعني أنه بطيء في كلامه لثقل لسانه.

(١) مسائل الإمام أحمد للنسيابوري ٢/ ١٧١، وهذا الإسناد رجاله ثقات.

ب ـ ثم خرجت الفتنة من طور الهمس إلى الإعلان سنة (٣٥هـ):

وفي آخر عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ خرج الكلام فيه من طور الهمس إلى طور الإعلان، وتداعي أهل الأهواء من العراق ومصر وقدموا المدينة، وانبرى لهم من كان في المدينة من الصحابة، وعزموا على صدّهم لكن عثمان ـ رضي الله عنه ـ منعهم، وحاورهم حتى أزال ما في نفوسهم، أو قطع حجتهم. لكن بينهم من يريد الفتنة، وحدثت أحداث الله أعلم بمن وراءها جعلتهم يعودون إلى الفتنة وحاصروا بيت الخليفة واستأذنه طائفة من الصحابة، بأن يقاتلوا دونه، فعزم عليهم أن يكفوا.

جـ ـ ثم قتل عثمان مظلوما:

فقتل مظلوما ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه عام (٣٥هـ)، وبقتله تتابعت الفتن وأخرجت الأهواء أعناقها، لكن لم يحدث بذلك افتراق ولا خروج عن الجماعة أول الأمر، إنما أدى هذا الاختلاف فيما بعد إلى المنازعة وخروج الخوارج وافتراق الشيعة عن الجماعة.

د ـ ثم أدى الاختلاف إلى المنازعة:

وبعد مقتل عثمان حدث في الأمة أول اختلاف أدى إلى المنازعة.

قال الأشعري في المقالات: «ولم يحدث خلاف في حياة أبي بكر رضوان الله عليه وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان رضوان الله عليه وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه خلافًا إلى اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه، وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا كان رضوان الله عليه مصيبًا في أفعاله، قتله قاتلوه

ظلما وعدوانا، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم» (١).

قال: «ثم بويع علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - فاختلف الناس في أمره، فمن بين منكر لإمامته، ومن بين قاعد عنه، ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم» (٢)

ويقول الآجري عن أصحاب الفتنة:

«ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(*)، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ممن كان في المدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا ذلك، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، ولم يرضوا بحكمه وأظهروا قولهم وقالوا لا حكم إلا الله فقال علي - رضي الله عنه - **(كلمة حق أرادوا بها الباطل)** فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله - عز وجل - بقتلهم وأخبر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بفضل من قتلهم أو قتلوه وقاتل معه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة» (٤).

---

(١) المقالات ١/٤٧، ٤٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٥٤، ٥٥.

(٣) تأمل حفظك الله فإن غالب أهل الأهواء يرفعون شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن بمفهوم منحرف عن أصول السلف ومناهجهم.

(٤) الشريعة ٢٢.

وليعلم أنه لم يحدث من الصحابة أنفسهم ولا بينهم افتراق ولا فرق، إنـما حدثت المنـازعة والمفارقة والأهواء من غيرهم كما بينت في الحلقة الأولى.

١٥- ظهور أول البدع في العبادات (بدعة الذكر الجماعي):

وفي عهد إقامة عبدالله بن مسعود في الكوفة في العراق ظهرت بدعة ا لتسبيح الجماعي بالحصى ونحوه. ومن ذلك ما رواه الدارمي في سننه قال:

أخـبرنـا الحكم بن المبارك أنَّ عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال فما هو فقـال: إن عشت فستراه قال: رأيت في المسجـد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصًى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال فماذا قلت لهم، قال ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالله حصىً نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة

محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم، صلى الله عليه وسلم، متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده أنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدثنا أن قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم. فقال **عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج»**[(١)]

قلت: سبحان الله وكما سارعوا إلى البدعة، سارعوا إلى الفتنة، فكانت من هؤلاء الذين أحدثوا هذه البدعة (بدعة التكبير والتهليل الجماعي) طلائع الخوارج، لأن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إنما توفي سنة (٣٢) أو (٣٣هـ) قبل الفتنة على عثمان وقبل ظهور الخوارج، فلما رأى منهم ذلك عرف فيهم سمات أهل الأهواء وأنهم سيحدث منهم شيء، فكان الأمر على ما قال رضي الله عنه.

وأول من ابتدع التكبير الجماعي:

معضد بن يزيد العجلي وأصحابه في الكوفة فنهاهم ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وحصبهم بالحصى[(٢)]، وذلك قبل سنة (٣٣هـ) وفاة ابن مسعود. وقد انتهوا عن فعل ذلك. حتى أظهرتها الصوفية والرافضة في عهد المأمون وما بعده، وكان فيه تشيع، وهو الذي ابتدع التكبير الجماعي بعد الصلوات في المساجد[(٣)].

---

(١) سنن الدارمي ٦٨، ٦٩.
(٢) انظر الفتاوى ٣٥/٤١.
(٣) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٠.

١٦ ـ كما حدثت في عهد ابن مسعود، رضي الله عنه ـ أيضا ـ بدعة أخرى مشابهة:

قال ابن وضّاح:

«عن أسد عن الربيع بن صبيح، عن عبدالواحد بن صبرة قال: بلغ ابن مسعـود أن عمرو بن عتبة في أصحاب له بنوا مسجدًا بظهر الكوفة فأمر عبدالله بذلك المسجد فهدم، ثم بلغه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحًا معلومًا ويهللون ويكبرون. قال فلبس برنسـا ثم انـطلق فجلس إليهم فلما عرف ما يقولون رفع البرنس عن رأسه ثم قال: أنا أبو عبدالرحمن، ثم قال: لقد فضلتم أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، علما، أو لقد جئتم ببدعة ظلما. قال، فقال عمرو بن عتبة: نستغفر الله ثلاث مرات، ثم قال رجل من بني تميم والله ما فضلنا أصحاب محمد علمًا ولا جئنا ببدعة ظلما ولكنا قوم نذكـر ربنـا، فقال بلى والذي نفس ابن مسعود بيده لقد فضلتم أصحاب محمد علما أو جئتم ببدعة ظلما، والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخـذتم آثـار القوم لسبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن حرتم يمينًا وشمالاً لتضلن ضلالا بعيدًا»(١).

١٧ ـ ابتداع صلاة غير مشروعة:

وفي عهد ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الكوفة كذلك سارع جهلة الناس إلى صلاة لم تشرع. وما أحرص الجهال إلى المسارعة إلى التعبد الذي لم يشرع، كما روى ابن وضّاح عن حارثة بن مضرب:

---

(١) البدع والنهي عنها ٨ - ١٠.

«أن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلىٰ في المسجد الأعظم دخل الجنة فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون. قال أبو إسحاق إنْ أمي وجدتي فيهم. فأتي ابن مسعود فقيل له أدرك الناس، فقال ما لهم؟ قيل نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه ويلكم اخرجوا لا تعذبوا إنما هي نفخة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيكم ولا ينزل بعد نبيكم، فخرجوا، وجلسنا إلى عبدالله فقال: إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلاً فيلقى آخر فيقول له أما بلغك الخبر فيقول الرجل وما ذاك فيقول كان من الأمر كذا وكذا فانطلق فحدث أصحابك، قال فينطلق الآخر فيقول لقد لقينا رجلاً أني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلا الشيطان»(١).

وهكذا نجد هذا الصحابي الجليل ـ عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه يقف صامدًا ضد البدع ويردها، ويردع أصحابها بقوة وحزم فلله دره.

١٨ ـ ثم تعود بدعة (التكبير الجماعي) مرة أخرى:

فقد روى ابن وضّاح:

«عن عبدالله بن أبي الهذيل العنبري قال: كنا جلوسًا مع عبدالله بن خباب بن الأرت (ت ٣٧هـ) وهو يقول سبحوا كذا وكذا، واحمدوا كذا وكذا، وكبروا كذا وكذا، قال فمر خباب فنظر إليه ثم أرسل إليه فدعاه فأخذ السوط فجعل يضرب رأسه به وهو يقول يا أبتاه فيم

(١) البدع والنهي عنها ٨.

تضربني؟ فقال مع العمالقة؟(*) هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد بزغ»(١).

وهذه القصة حدثت بعد وفاة ابن مسعود، فهي امتداد لما حدث في عهده، فانظر يا أخي عزمة خباب وقوته في إنكار هذه البدعة، ولا يغرنك تلبيسات المبتدعة الذي يزعمون مشروعية بدعهم، وقف حيث وقف أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والتابعون، حمانا الله وإياك من الأهواء والبدع.

ظهور بدعة التكبير عند قراءة القرآن:

فقد روى ابن وضّاح:

«عن عبدالرحمن بن أبي بكرة قال كنت جالسًا عند الأسود بن سريع وكان مجلسه في مؤخرة المسجد الجامع، فافتتح سورة بني إسرائيل حتى بلغ ﴿وكبره تكبيراً﴾ فرفع أصواتهم الذين كانوا جلوسا حوله، فجاء مجالد بن مسعود (ت ٤٠هـ) يتوكأ على عصاه فلما رآه القوم قالوا مرحبًا مرحبًا اجلس، قال ما كنت لأجلس إليكم وإن كان مجلسكم حسنا ولكنكم صنعتم قبل شيئًا أنكره المسلمون فإياكم وما أنكر المسلمون»(٢).

يقصد المسلمين في ذلك الوقت حيث كان سائرهم على السنة وكانت البدع مغمورة وأهلها مقموعون. أما إذا كثر الخبث وانتشرت البدع وسادت الأهواء كما هو حال المسلمين في غالب البلاد الإسلامية

(*) يعني أنك ارتكبت أمرًا عظيمًا في الدين، ارتقيت به مرتقى صعبًا مهلكًا.
(١) البدع والنهي عنها ٢١.
(٢) البدع والنهي عنها ١٦، ١٧.

بعد القرون الفاضلة فليس العبرة بما عليه الأكثرية مادامت على غير السنة إنما العبرة بما في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وما عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة وأهل السنة والحديث. فافهم وفقني الله وإياك.

١٩ ـ اتخاذ الجبانات (دوراً للتعبد)(١) غير المساجد:

وفي عهد إقامة ابن مسعود في الكوفة كذلك، حدثت من بعض المتعبـدة والنسَّاك بدعة اتخاذ الدور الخاصة للعبادة والتنسك، سوى المساجد.

أول من فعـل ذلك عباد البصرة وذلك قبل سنة (٣٣هـ) لأن بعض أصحاب ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لما اتخذوها في الكوفة وفيهم (معضـد بن يزيد العجلي) نهاهم ابن مسعود عن ذلك وهدم دارهم وأمرهم بالتفرق والعودة لبيوتهم، وابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ توفي سنة (٣٣هـ) على أكثر تقدير كما أسلفت.

٢٠ ـ ظهور أول الفرق في الإسلام:

وفي عهد علي رضي الله عنه:

ظهرت الخوارج والشيعة ونشأت علنا مقولاتها وبدعها الأولى، وقد أعلنت الخوارج مفارقتها سنة ٣٧هـ أما الشيعة فقد فارقت في هذا الوقت وبعده لكنها لم تجرؤ على إعلان الخروج المسلح كما فعل الخوارج

وتتلخص بدعهما في:

١ ـ التكفير بالمعصية (الكبيرة). وتكفير علي ومعاوية والحكمين ومن رضي بالتحكيم (الخوارج).

---

(١) انظر الفتاوى ٣٥/٤١.

٢ ـ الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم واستحلال قتالهم.
(الخوارج)

٢١ ـ بدع التشيع الأولى:

التشيع لعلي ـ رضي الله عنه ـ والغلو فيه (الشيعة السبأية الأولى).

وكانت أصول هذه البدع موجودة في عهد عثمان، فروجها السبأية همسًا لكنها لم يعلن بها أصحابها المفارقة، وإنما كانت أحاديث هامسة. فلما حدثت الفتنة تجرأ أصحابها ـ وعلى رأسهم ابن سبأ ـ في إظهارها.

ومع التشيع لعلي ـ رضي الله عنه ـ برزت بعيد ذلك بدع تعد هي أصول الرفض، وأول من ابتدعها ابن السوداء (ابن سبأ) اليهودي الذي ادعى الإسلام أيام عثمان[١]، وهي:

١ ـ **القول بإمامة علي نصًا.**

٢ ـ **وبدعة القول** بعصمة علي وأئمة آل البيت.

٣ ـ **وبدعة القول** برجعة علي ـ رضي الله عنه ـ.

٤ ـ **وبدعة القول** بأن عليا ـ رضي الله عنه ـ لديه علوم وأسرار في الدين لا يعلمها غيره وأنه يعلم شيئًا من الغيب.

٥ ـ **وبدعة القول** بألوهية علي ـ رضي الله عنه ـ، ولما أعلنها طائفة من أتباع ابن سبأ، حرقهم علي ـ رضي الله عنه ـ بالنار حين أصروا على هذه المقولة الشنيعة.

---

(١) انظر الفتاوى ٤/ ١٨.

٦ ـ **وبدعة القول** بتفضيله على الشيخين (أبي بكر وعمر) وهي بدعة (المفترية). وقد أمر علي بن أبي طالب بجلد من قال ذلك (٨٠) جلدة (حد المفتري).

٧ ـ **وبدعة سب الصحابة**. أو بعضهم، وكانت هذه البدعة في الخوارج والشيعة معًا، وكانت بين الشيعة الأولىٰ خفية، وخفيفة، لكنها مع الـزمن ازدادت حتى قالت الـرافضـة في القرن الثاني بسبّ سائر الصحابة وادعت ردتهم إلا نفرًا قليلاً.

٢٢ ـ النزاع في الإمامة:

وحدث النزاع في الإمامة في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام، في رده على من زعم أن النزاع في الإمامة حدث في عهد أبي بكر.

«وذلك أن النزاع في الإمامة لم يظهر إلا في خلافة علي رضي الله عنه»[١].

فقـد نازعت طائفـة من المسلمـين عليا ـ رضي الله عنـه ـ في الإمامة، وخرجت عليه الخوارج وبايعت أميرًا لها.

أما الثوار على عثمان ـ رضي الله عنه ـ قبل ذلك فلم يظهروا أنهم ينازعون في الإمامة أو يريدونها لأنفسهم، إنما كانوا يظهرون النقمة على عثمان، رضي الله عنـه، ويزعمـون أنهم يريدون تنحيتـه حتى يولي المسلمون من يرتضون. لكن لما قتل ـ رضي الله عنه ـ أظهرت طائفة منهم المنازعة في الأمر. والله أعلم.

---

(١) انظر منهاج السنة ١/١١٩.

٢٣ ـ أول مقولة فرقت بين الأمة (بعد السبأية) مقولة الخوارج ثم القدرية:

علمنا أن أول المقولات التي سببت الافتراق وظهور الفرق، مقولات السبأية المتمثلة باعتراضات الثوار على عثمان رضي الله عنه. ثم نشأت عنها مقالة الخوارج، ومقالات الشيعة. ثم أعقبها قول القدرية الأولى بعد منتصف القرن الأول.

قال شيخ الإسلام:

«فأول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق الملّي، فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد وخلوده في النار، وحكموا بكفره، ووافقتهم المعتزلة على دخوله في نصوص الوعيد وخلوده في النار، لكن لم يحكموا بكفره، فلو كان الشيء خيراً محضًا لم يوجب فرقة، ولو كان شرًّا محضًا لم يخف أمره، لكن لاجتماع الأمرين فيه أوجب الفتنة.

وكذلك مسألة القدر، التي هي من جملة فروع هذا الأصل، فإنه اجتمع في الأفعال الواقعة التي نهى الله عنها أنها مرادة له لكونها من الموجودات، وأنها غير محبوبة له، ولا مرضية، بل ممقوتة مبغوضة لكونها من المنهيات.

فقال طوائف من أهل الكلام: الإرادة والمحبة والرضا واحدة، أو متلازمة. ثم قالت القدرية: والله لم يحب هذه الأفعال ولم يرضها، فلم يردها، فأثبتوا وجود الكائنات بدون مشيئة»[1] وهكذا صار القول بالقدر أصلاً من أصول أكثر الفرق بعد ذلك.

---

(١) الاستقامة ١/٤٣١.

٢٤ ـ ظهور بدعة القصص:

وحدثت بدعة القُصَّاص في عهد عليٍ ـ رضي الله عنه ـ فأنكرها الصحابة والتابعون فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال نا ابن مهدي عن سفيان: «عن عبيدالله بن نافع قال لم يقص على عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان. وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة»(١).

والقصاص هم: الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها. مما لا أصل له أو موضوع أو مما لا تدركه عقول العامة.

وقد منعهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ(٢) لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون.

وكان ابن عمر يأمر الشرطة بإخراج القصاص من المساجد(٣)، وكان عمر بن عبدالعزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم(٤).

ولا يعني ذلك منع الوعظ فقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يتخول الصحابة بالموعظة، وكان أصحابه كذلك وبعدهم السلف الصالح، إنما منعوا الوعظ بالحكايات التي لا أصل لها والتحديث بالغرائب والأمور المعضلة والمشتبهة وما لا تدركه مدارك عامة الناس من

---

(١) البدع والنهي عنها ٢٠.
(٢) انظر تحذير الخواص للسيوطي ٢١٣ والبدع والنهي عنها ١٦.
(٣) انظر البدع والنهي عنها ٢٠.
(٤) انظر السابق ١٩.

مسائل الغيب والقدر ومحارات العقول، ومنعوا الوعاظ الجهلة المهرجين. والله أعلم.

٢٥ ـ وظهرت الخصومات في الله تعالى:

من ذلك سؤال نجده الخارجي لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ حين سأله عن معرفته بربه، فإن مثل هذا السؤال إنما هو سؤال مخاصمة وتعنت، أو ريب واضطراب وذلك من سمات أهل الأهواء والخصومات.

فقد أخرج الهروى «عن عكرمة أن نجده قال لابن عباس كيف معرفتك بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا؟ فقال: من ينصب دينه للقياس لايزال الدهر في التباس مائلاً عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج أعرفه بما عرف به نفسه من غير[1] رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه»[2].

وهذا من نوع الخصومة والجدال في الله تعالى، وهو بذور الكلام والخوض في أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٢٦ ـ وظهر التكلف والمراء في القرآن وفي الدين وفي ما لا فائدة فيه:

وكان أول ما حدث ذلك من الخوارج فكان الخوارج يسألون الصحابة عن المتشابه من معاني القرآن وعن مسائل لا ينبني عليها عمل، إنما كانت أسئلتهم للتعنت والتحدي والمراء. والخوض في آيات الله ومتشابه القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، كما فعل ابن الكواء (من رؤوس الخوارج الحرورية) فقد سأل عليا ـ رضي الله عنه ـ عن ﴿الذاريات

---

(١) (غير) ساقطة من المخطوط وأثبتها من صون المنطق ٥٠.

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام ٢١١ (مخطوط)، وانظر صون المنطق ٥٠.

ذروا فالحـاملات وقرا﴾ فقال له علي: «ويلك اسأل تفقها ولا تسأل تعنتا» ثم أجابه:

ولم يقف ابن الكواء عند هذا الحد فقد سأله على سبيل التعنت والتعجيز قال: «أفرأيت السواد الذي في القمر؟ فقال علي: أعمى سأل عن عمياء ثم أجابه»[١] واستمر ابن الكواء في أسئلته في أمور لا طائل تحتها. وهذه من سمات أهل الأهواء فإنهم يعرضون عما أمر الله به، ويبحثون ما نهى الله عنه من مسائل الصفات والقدر.

(١) انظر الإبانة ١/٤١٨ وانظر الموافقات ١/٥٠.

ثالثًا ـ نزعات الأهواء والبدع بعد الخلافة الراشدة

وفي آخر عهد الصحابة بعد الخلافة الراشدة بدأت تظهر بعض البدع من طائفة من العباد والزهّاد الذين قل فقههم في الدين ومن ذلك:

٢٧ ـ الصعق والغشي عند سماع القرآن:

فقد ذكر الشاطبي طرفًا من ذلك في الاعتصام، قال:

«وخرج سعيد بن منصور في تفسيره عن عبدالله بن عروة بن الزبير. قال: قلت لجدتي أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا قرأوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قلت: إن ناسا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[1].

وقال: وخرج أبو عبيد من أحاديث أبي حازم قال: مر ابن عمر برجل من أهل العراق ساقط والناس حوله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: إذا قريء عليه القرآن أو سمع الله يذكر خر من خشية الله. قال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله ولا نسقط.[2]

قال الشاطبي: «وهذا إنكار» قال: «وقيل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن قوما إذا سمعوا القرآن يغشى عليهم. فقالت: إن القرآن أكرم من أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه ـ كما قال الله تعالى: **﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن القوم يقرأ

---

(١) (٢) الاعتصام ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

عليهم القرآن فيصعقون فقال: ذلك فعل الخوارج»[١].

وخرج أبو نعيم عن عامر[٢] **بن عبدالله بن الزبير** ـ رضي الله تعالى ـ عنه قال: جئت أبي، فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقوامًا ما رأيت خيرًا منهم يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله فقعدت معهم، فقال: لا تقعد بعدها. فرآني كأنه لم يأخذ ذلك في فقال: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن، فلا يصيبهم هذا. أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت ذلك كذلك فتركتهم[٣]». قال الشاطبي بعد أن أورد القصة: «وهذا بأن ذلك كله تعمُّل وتكلف لا يرضى به أهل الدين»[٤].

وفي رواية أخرى أن ابن الزبير قال لابنه: «يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلدًا»[٥].

وأخرج ابن الجوزي عن أبي حازم قال:

«مر ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ برجل ساقط من العراق، فقال ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرىء القرآن يصيبه هذا، فقال: إنا لنخشي الله ـ عز وجل ـ وما نسقط»[٦].

---

(١) الاعتصام ١/٢٧٥، ٢٧٦، وتلبيس إبليس ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) كذا في الحلية (عامر) وفي الاعتصام (جابر). والأرجح أنه (عامر) انظر تقريب التهذيب ١/٣٨٨ ترجمة (٥٣).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/١٦٧، ١٦٨، والاعتصام للشاطبي ١/٢٧٦.

(٤) الاعتصام ١/٢٧٦.

(٥) تلبيس إبليس ٢٥٤.

(٦) تلبيس إبليس ٢٥٣.

وأخرج عن ابن عباس ـ رضي الله عنه: أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن، فقال: إنهم ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى وهم مضلون»[(١)].

وأخرج ابن الجوزي أيضًا عن عمرو بن مالك البكري قال: «قرأ قارئ عند أبي الجوزاء (ت ٨٣هـ) فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم، فقام إليه أبو الجوزاء، فقيل له: يا أبا الجوزاء إنه رجل به شيء» إلى أن قال: «فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه» وفي رواية: «لأمرت به فأخرج من المسجد»[(٢)]. أي ممن يتكلفون هذا الصياح والصعق.

وكذلك روي عن ابن سيرين والحسن البصري إنكار ذلك[(٣)].

ظهور الاحتفالات السنوية البدعية:

٢٨ ـ ثم حدثت بدع الرافضة

كبدعة الاحتفال بيوم عاشوراء التي أحدثتها الرافضة بعد مقتل الحسين سنة (٦١) وفيها كانوا يقيمون المآتم والنياحة الجاهلية كل عام إلى يومنا هذا.

لكنهم في أول الأمر في القرون الفاضلة ما كانوا يجرؤون على إشاعتها والجهر بها إلا قليلا، حتى قامت دويلات الباطنية في آخر القرن الثالث وما بعده، فشاعت بدعة الموالد في بعض البلاد التي يحكمونها، ثم صارت الموالد في غير الرافضة، حين انتشرت بدعهم بين

---

(١) تلبيس إبليس ٢٥٣.
(٢) تلبيس إبليس ٢٥٤.
(٣) انظر تلبيس إبليس ٢٥٢ - ٢٥٥.

الصوفية والمقابرية وغيرهم، واستقرت بدعة الموالد سمة من سمات أهل البدع.

٢٩ ـ ظهور مقالات القدرية المجوسية الأولى:

وظهرت مقولات القدرية الأولى بعد منتصف القرن الأول وأول من اشتهر عنه إنكار القدر من المسلمين معبد الجهني المقتول سنة (٨٠هـ) ثم توسع فيها غيلان الدمشقي المقتول سنة (١٠٥هـ) وقيل (١٠٣).

وسيأتي الكلام عنها تفصيلاً، عند الكلام عن القدرية في حلقة قادمة إن شاء الله.

٣٠ ـ دعوى النبوة ونزول الوحي وتنزل الملائكة (بعد الردة):

وأول دعوى للنبوة بعد حروب الردة ـ حيث تنبأ في آخر عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وبعيد حياته كل من مسيلمة وسجاح والأسود العنسي ولقيط الأزدي، وطليحة الأسدي ـ كانت من المختار بن أبي عبيد الثقفي قتل سنة (٦٧هـ)، وقد زعم أنه يوحى إليه وتنزل إليه الملائكة وكان ناصبيا متعصبًا ثم تحول إلى شيعي غال، وزعم أنه ينتصر لآل البيت فاستحوذت عليه الشيعة كما استحوذ عليه الشيطان[١]، لأن هذا المدعي وأمثاله إذا تمادى في الضلال تمكنت منه الشياطين، وتمثلت له بأشخاص أو مخلوقات أخرى.

وقيل إنه لم يدع النبوة صراحة لكنه زعم أنه يوحىٰ إليه[٢]، والله أعلم.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٨/٢٨٧ - ٢٩١، وتاريخ الطبري ٣/٤٧٦ - ٤٩٦، والكامل لابن الأثير ٣/٣٧٨ - ٣٨٦.

(٢) أخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ حدثهم: «أن في ثقيف كذاباً=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام، وكان أول من ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**سيكون في ثقيف كذاب ومبير**»[1]. وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف، فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه! فقالا: صدق؛ قال الله تعالى: ﴿**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم**﴾[سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢]، وقال الآخر وقيل له إن المختار يزعم أنه يوحى إليه فقال: قال الله تعالى: ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

وقال: «أول من ظهر عنه دعوى النبوة من المنتسبين إلى الإسلام المختار بن أبي عبيد، وكان من الشيعة، فعلم أن أعظم الناس ردة هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف»[2].

ثم كثرت دعاوى النبوة في أول القرن الثاني، وأغلبها في الشيعة.

ولعل من أهم أسباب ذلك كثرة الجهل فيهم وفساد عقائدهم، وتقديسهم لبعض البشر وزعمهم أنهم يعلمون الغيب، أو يرثون العلم

= ومبيراً» صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة / باب (٥٨) الحديث (٢٥٤٥) ٣/١٩٧١، ١٩٧٢.

(١) الفتاوى ١١/٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) منهاج السنة ٣/٤٥٩.

اللدني، ونحو ذلك من عقائدهم الفاسدة التي تهيء للدجل والكذب والمخرقة.

وعامل آخر مهم في كثرة ظهور الكذابين والدجاجلة فيهم، وهو أن الشيعة لا عقول لهم، ودهماؤهم تتبع كل من رفع لواء الانتصار لآل البيت دون وعي ولا بصيرة. ويعتقدون العصمة فيمن يسلمون له القياد، ولا يفرقون بين الأبرار والفجار، ويروج عندهم الكذب.

٣١ - ظهور الكذب على رسول الله ﷺ واشتهاره:

ثم ظهر الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قبيل سنة (٦٧هـ)، وأول ما اشتهر الكذب ووضع الحديث زمن ظهور المختار بن أبي عبيد (ت ٦٧هـ) وكان ذلك من قبل الرافضة وغيرهم.

لذا قال إبراهيم النخعي: «إنما سئل عن الإسناد أيام المختار فاتهموا الناس»[١]. أي إسناد الأحاديث والآثار وذلك حين كثرت الأهواء والكذب. وكان المختار نفسه يأمر بعض أهل الحديث بوضع الأحاديث، فقال لرجل من أصحاب الحديث «ضع لي حديثًا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أني كائن بعده خليفة» فأبى عليه[٢].

وأمر محمد بن عمار بن ياسر أن يحدث عن أبيه بكذب فأبى فقتله[٣].

٣٢ - بدعة القول بالبداء:

أول من قال بالبداء على الله تعالى: (الرافضة[٤]، وقولهم فيها

---

(١) الجامع للخطيب ١/ ١٣٠.

(٢) انظر الجامع للخطيب ١/ ١٣١.

(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة - د. عبد الرحمن المحمود ١/ ٣٣.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ١١٣.

يشبه قول اليهود وقد اشتهرت هذه المقولة قبيل قتل المختار سنة (٦٧هـ) وكان المختار - أيضًا - يقول بالبداء الذي هو من أصول الرافضة الأولى، فإن المختار كان قد تكهن بنصر أصحابه فلما انهزموا زعم أن الله بدا له[١]، والعجيب أن المختار هذا كان ناصبيًّا شديد التعصب في بغض علي - رضي الله عنه - ثم تحول إلى رافضي متعصب[٢] وهكذا صاحب الهوى يتردى من حال إلى مثلها أو أسوأ منها نسأل الله السلامة.

٣٣ - ظهور بدعة الإرجاء:

أول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣)[٣] وهو إرجاء العمل عن الإيمان ويسمى (إرجاء الفقهاء) وأول من قال به: هو: ذر بن عبدالله المرهبي الهمداني (مات قبل المائة)[٤]. ثم ظهور القول بأن الإيمان قول: وأول من قال ذلك حماد بن أبي سليمان[٥] ت (١٢٠) شيخ أبي حنيفة. واستقر إرجاء الفقهاء على ثلاثة أسس كلها مخالفة لقول السلف وهي:

١ - زعمهم أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان وأن الإيمان هو (التصديق).

٢ - زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٩٠.

(٣) انظر السنة لعبدالله ١/ ٣١٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٤٧.

(٤) السنة لعبدالله ١/ ٣٢٩.

(٥) الفتاوى ٧/ ٢٩٧، ٣١١. وراجع المرجئة (رسالة ماجستير) للدكتور محمد بن عبدالعزيز اللاحم ص٨٩-١٠٣.

٣ - زعمهم أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

٣٤ - ظهور بدعة بناء القباب:

أول قبة بنيت في الإسلام كانت على الصخرة في بيت المقدس وكانت لغرض سياسي. حيث بناها عبدالملك بن مروان ليصرف الناس إلى بيت المقدس عن ابن الزبير في مكة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الصخرة، فلم يصلِّ عندها عمر - رضي الله عنه -، ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان؛ ولكن لما تولى ابنه عبدالملك الشام (ت ٨٦هـ)[١] ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس، يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبدالملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير، فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف، ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة»[٢].

وقال في موضع آخر: «قصة بناء القبة على الصخرة من قبل عبدالملك، قيل ليكثر قصد الناس لبيت المقدس لينصرفوا عن ابن الزبير خصم عبدالملك»[٣].

وعلى هذا يكون بناء القبة في وقت مبكر قبل سنة (٨٦هـ) لكن

---

(١) تقريب التهذيب ١/٥٢٣.

(٢) الفتاوى ٢٧/١٢.

(٣) انظر اقتضاء الصراط ٢/٨١٩.

لم يكن ذلك على جهة التعبد، ولم تكن على قبر، إنما كانت لغرض سياسي. والله أعلم.

٣٥ ـ إدخال قبر النبي، ﷺ في ناحية المسجد وزخرفته:

ومن الأعمال التي مهدت للبدع حول القبور ـ من البناء عليها، والصلاة إليها ودعاء الأموات ـ إدخال حجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، في ناحية المسجد في خلافة الوليد بن عبدالملك عام (٨٨هـ) وزخرفته وتزيينه بالفسيفساء[١]، ثم تدرج الحال إلى إدخال جميع الحجرة في المسجد، ثم البناء عليها، وبناء القبة، ثم اتخاذها مصلى، واتخاذها ذريعة للبناء على القبور واتخاذها مساجد، والوقوع فيما حذر منه الرسول، صلى الله عليه وسلم، في قوله: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر مما صنعوا[٢].

وقال، صلى الله عليه وسلم: «**ألا لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[٣]، وذكر ابن كثير أنه حكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال الحجرة في المسجد خوفًا من أن يتخذ القبر مسجدًا، وقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك[٤].

٣٦ ـ ظهور بدع غيلان في القدر والتعطيل بذور الجهمية والمعتزلة:

ثم ظهرت بدع غيلان الدمشقي المقتول سنة (١٠٥) تقريبًا:

---

(١) قاعدة عظيمة ٨٨، وتاريخ الطبري ٣/٦٧٦، ٦٧٧، والبداية والنهاية ٩/٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس وعائشة، فتح الباري الحديث (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم الحديث (٥٣١).

(٣) مسلم الحديث (٥٣٢).

(٤) البداية والنهاية ٩/٧٥.

وهي إنكار القدر كما فعل معبد الجهني. وهذا ثابت عن غيلان وقد أشهره.

ونسب إليه كذلك: القول بأن الإيمان هو المعرفة وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان. والقول بخلق القرآن.

ونفي بعض الصفات. كالاستواء [١]

وهي أصول الجعد بن درهم بعده، ثم أصول الجهمية والمعتزلة. حيث وضعوا لها القواعد والأصول، وناظروا فيها وتوسعوا في هذه البدع.

٣٧ ـ أول من أنكر الاستواء وبخور الجهمية والمعتزلة:

يقال أن أول من أنكر استواء الله على عرشه وأوله بالاستيلاء، غيلان الدمشقي (قتل ١٠٥) أو الجعد بن درهم (قتل ١٢٤هـ) وقيل الجهم بن صفوان (قتل ١٢٨هـ).

وإنكار الاستواء ينسجم مع قاعدة الجعد الخبيثة في التعطيل التي أنكر بها الكلام والخلة والأرجح أن أول من حفظ عنه أنه قال بأن الله تعالى ليس على العرش حقيقة: الجعد ثم أخذها عنه الجهم وأظهرها[٢].

وإنكار الاستواء وتأويله هو الشرارة الأولى لأهل الأهواء والتي فيها خاضوا في صفات الله تعالى نفيًا وتعطيلاً وتأويلاً.

ذلك أن الاستواء مرتبط بالعلو والفوقية، فالرؤية، ثم صفات

---

(١) انظر الفتاوى ٣/ ٢٤٠ والاستقامة ١/ ٤٣٢ ومقالات الإسلاميين ١/ ١١٧ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٧ وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ٣٣ - ٤٠.

(٢) انظر الفتاوى ٥/ ٢٠.

الله الفعلية، ومنها تجرءوا على بقية الصفات الخبرية كاليد والعين والوجه وهلم جرا.

وقفة تأمل حول مسيرة الأهواء في القرن الأول وموقف السلف منها:

وإذا تأملنا هذه الحوادث نجدها حصلت في عهد الصحابة وكبار التابعين في القرن الأول، وأغلبها في العراق. وأن الصحابة والتابعين أنكروها، وحذروا منها ومن أصحابها بقوة وحزم وقد أفردت لذلك كتابا مستقلاً سيخرج في آخر هذه الحلقات إن شاء الله بعنوان: «موقف السلف من الأهواء والافتراق والبدع وأهلها» وقد نفع الله بجهود أئمة السلف تجاه الأهواء وأهلها، وأنكروها، فاختفى بعضها لاسيما البدع العملية، كالذكر الجماعي والصلاة غير المشروعة إلى أن أظهرته الرافضة والطرق الصوفية بعد القرن الثالث، والبعض الآخر بقي سمة من سمات الخوارج أو بعض العبَّاد ونحوهم كالصعق والغشي عند قراءة القرآن أو سماعه، لكن السلف كانوا ينكرونها وينهون عنها فبقيت مغمورة، وهي أخف من سائر البدع لأنها أحوال مخالفة للسنة ولا تؤثر في الاعتقاد أصل العمل، تأثيرًا كبيرًا.

وهذه الظواهر البدعية ـ أعني بدع العباد ـ لم توجب عند أصحابها المفارقة ولا الخروج على الجماعة، ولم تنشأ عنها فرق، بل أكثرها يندثر أو ينغمر حتى نهاية القرن الثالث، حين صارت من سمات الرافضة والطرق الصوفية، ثم عمت وطمت.

أما ما يتعلق بأصول البدع الكبرى لاسيما الاعتقادية فإنها رغم إنكار الصحابة والتابعين لها بقوة وحزم، فقد بقيت في طوائف من أهل

الأهواء تتدرج من الضعف إلى القوة، ومن السرية إلى العلن إلى أن ظهرت وتوسعت وهي:

١ ـ أصول الخوارج.

٢ ـ وأصول الرافضة والزيدية والغالية (الشيعة).

٣ ـ وأصول القدرية.

٤ ـ وأصول المرجئة.

وهذه هي أصول الفرق في القرن الأول الهجري. وبذور المعتزلة والجهمية. بدأت في هذا القرن عند غيلان الدمشقي وأمثاله لكنها لم تنشأ عنها الفرق إلا في القرن الثاني كما سيأتي.

الخلاصة في الأهواء والافتراق والبدع في القرن الأول:

وهذه الأمور التي ذكرتها تعد أبرز وأخطر ما ظهر في القرن الأول الهجري من الأهواء والبدع والفرق، وهي أصناف:

الأول ـ الفرق وهي: الخوارج، والشيعة والقدرية والمرجئة.

الثاني ـ البدع العملية والقولية، **وهي**:

١ ـ بناء القباب.

٢ ـ زخرفة المساجد.

٣ ـ إدخال قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، في ناحية المسجد النبوي.

٤ ـ الذكر الجماعي (انتهت ولم يعد لها وجود إلى ما بعد القرن الثالث لإنكار الصحابة لها).

٥ ـ التسبيح بالحصى (انتهت ولم يعد لها وجود إلى ما بعد القرن الثالث لإنكار الصحابة لها).

٦ ـ بدع العبّاد: كشدة الخوف، والصعق، والغشي.

٧ - تتبع آثار النبي، صلى الله عليه وسلم، المكانية (غير مناسك الحج المشروعة) وقد انتهت بإنكار عمر والصحابة لها إلى ما بعد القرن الثالث تقريبًا.

٨ - الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

الثالث - البدع الاعتقادية. أشهر البدع الاعتقادية التي ظهرت في القرن الأول هي:

١ - التكفير بالمعاصي (الكبائر) / (الخوارج)

٢ - القول بالعصمة لغير الرسول، صلى الله عليه وسلم / (الشيعة)

٣ - القول بألوهية بعض البشر / (الشيعة)

٤ - القول بالرجعة / (الشيعة)

٥ - القول بالقدر / (القدرية)

٦ - القول بالبداء / (الشيعة)

٧ - القول بالرأي والخصومات في الدين من قبل سائر الفرق: / (الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة).

٨ - سب بعض الصحابة أو أكثرهم ودعوى ردتهم / (الخوارج والشيعة)

٩ - القول بالعلم الخاص لبعض البشر وأن منهم من يعلم الغيب أو بعضه/ (الشيعة).

١٠ - الخروج أو القول بالخروج على إمام المسلمين وجماعتهم: / (الخوارج والشيعة).

١١ - القول بأن الإيمان هو التصديق، أو المعرفة/ (المرجئة).

١٢ - وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان/ (المرجئة).

وقد بذل الصحابة والتابعون وسائر أئمة السلف قصارى جهدهم في مقاومة الأهواء وأهلها، وتحذير الأمة من غوائلها وحماية العقيدة من بدعها، واستخدموا لذلك كل وسيلة شرعية يستطيعونها، وكان لجهودهم في ذلك أثر في تعويق مسيرة تلك الأهواء وقمع بعضها.

رابعا: تتابع الأهواء والافتراق والبدع في القرن الثاني والثالث وما بعدهما

في مطلع القرن الثاني الهجري تنامت مسيرة الأهواء والافتراق على النحو التالي:

١ ـ كثرت فرق الخوارج وامتدت رقعتهم في العراق والساحل الشرقي من جزيرة العرب، وفارس وخراسان وشمال إفريقية، وتشعبت مقولاتهم وتطورت.

٢ ـ كثرت فرق الشيعة واتسعت وتشعبت، وتطورت مقولاتها، وظهرت أصول الرافضة وأعلنت شتم الصحابة وأصولها الأخرى بعد مفارقتهم لزيد بن علي سنة (١٢١)، وظهر فيها التجسيم في القرن الثاني، ثم الاعتزال في القرن الثالث. وكذلك ظهرت الباطنية من بين الرافضة.

٣ ـ تطورت بدع القدرية وتشعبت واندمج كثير من أصولها في المعتزلة والفرق الكلامية بعدها.

٤ ـ في أول القرن الثاني نشأت فرق المعتزلة والجهمية، والجبرية، والمرجئة الغالية، والرافضة، والزيدية، والمشبهة (وهي من الرافضة). كما أن مرجئة الفقهاء التي بدأت طلائعها في القرن الأول انتشرت وكثر أتباعها في أول القرن الثاني.

٥ ـ في القرن الثالث بدأت طلائع الباطنية الخبيثة، كالقرامطة، والإسماعيلية والعبيدية، وكذلك طلائع الطرقية الصوفية، والحلولية.

وفي القـرن الثـالث وأول القـرن الـرابـع نشـأت كذلك الفرق الكـلامية: كالكـلاَّبيَّة، والكـرَّامية، والأشعـرية، والمـاتريدية. فكانت الكرامية أميل للتمثيل، والباقية أميل للتأويل والتعطيل. (أعني في الصفات).

وهذه نماذج من ذلك:

٣٨ ـ القول بالطاعة المطلقة للحكام (في عهد يزيد بن عبدالملك ت (١٠٥هـ)

وظهر مقابل التشيع لعلي، الغلو في طاعة الولاة مطلقًا والقول بأن الإمام (خليفة المسلمين) يتجاوز الله عنه السيئات، قال شيخ الإسلام:

«وكثير من الناس فيهم من الغلو في شيوخهم من جنس ما في الشيعة من الغلو في الأئمة.

وأيضًا فالإسماعيلية يعتقدون عصمة أئمتهم، وهم غير الإثنى عشر. وأيضًا فكثير من أتباع بني أمية ـ أو أكثرهم ـ كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمـام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك. وكلامهم في ذلك معروف كثير.

وقد أراد يزيد بن عبدالملك أن يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فجاء إليه جماعة من شيوخهم، فحلفوا بالله الذي لا إله إلا هو، أنه إذا ولّى الله على الناس إمامًا تقبل الله منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات.

ولهـذا نجـد في كلام كثـير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر

مطلقًا، وأن من أطاعه فقد أطاع الله. ولهذا كان يُضرب بهم المثل، يقال: «طاعة شامية».

وحينئذ فهؤلاء يقولون: إن إمامهم لا يأمرهم إلا بما أمرهم الله به، وليس فيهم شيعة، بل كثير منهم يبغض عليا ويسبه»[1].

٣٩ ـ أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين ونشأة المعتزلة:

وفي أول القرن الثاني ظهرت مقولة المعتزلة: المنزلة بين المنزلتين.

وأول من أعلن القول بالمنزلة بين المنزلتين واصل بن عطاء (ت ١٣١) وعمرو بن عبيد (ت١٤١) وذلك حين ظهرت مقولة الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة والقول بتخليده في النار إذا مات مصرا على كبيرته، ثم كثر لغط أهل الأهواء في هذه المسألة.

فأعلن واصل بن عطاء مقولة المعتزلة بأن الفاسق الملّي بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا، أي لا مؤمن ولا كافر، وزعم أنه في الآخرة مخلد في النار كما يقول الخوارج، ثم تبعه على ذلك عمرو بن عبيد، ثم صار ذلك أصلاً من أصول المعتزلة[2]. وهذا أول أصل فارقت به المعتزلة السنة والجماعة، وبعده تجارت بهم الأهواء إلى القول بالقدر ثم سائر أصولهم الأخرى.

وقد اشتهرت مقالة المعتزلة هذه في أول القرن الثاني قبل سنة (١١٠هـ) وهي سنة وفاة الحسن البصري، لأنها حدثت في مجلسه (حلقته) وسموا معتزلة حين اعتزلوا هذا المجلس (مجلس الحسن).

---

(١) منهاج السنة ٦/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) انظر الفتاوى ٣/ ١٨٢، ١٨٣. و٧/ ٤٨٤ و٨/ ٢٢٨ و١٠/ ٣٥٨.

٤٠ ـ ظهور التجسيم (الممثلة):

أول من قال بالتجسيم في صفات الله تعالى وأعلن الحلول: طوائف من الشيعة الغالية، كالبيانية والمغيرية.

إذ أن أول من أظهر التشبيه والقول بالحلول والتناسخ بيان بن **سمعان الشيعي المقتول سنة (١١٩)هـ** تقريبا فقد زعم أن ربه على صورة إنسان وأن جزءًا إلهيا حل في علي وغيره من بعده، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا.

وقد قتله (قَصَّابُ الزنادقة) خالد بن عبدالله القسري[١]. وكذلك قال بالتشبيه المغيرة بن سعيد العجلي (وهو شيعي أيضًا) وقد قتله كذلك خالد القسري مع بيان[٢].

أما أول من أطلق الجسمية وزعم أن الله تعالى جسم فهو هشام بن الحكم (الرافضي) توفي سنة (١٩٩) قال شيخ الإسلام: «وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله تعالى جسم هو هشام بن الحكم»[١].

٤١ ـ ظهور بدعة تعطيل الأسماء والصفات (نفي الخلة والتكليم) ونشأة الجهمية:

أول من نفى الخلة والمحبة والتكليم (أي كلام الله تعالى)

---

(١) انظر مقالات الإسلامين ٦٦، ٦٧ مع الهامش والفرق بين الفرق ٢٣٦، ٢٣٧ والكامل لابن الأثير ٤/ ٢٣١.

(٢) انظر الكامل ٤/ ٢٣٠، ١٣١ والطبري ٤/١٧٤، ١٧٥.

(٣) منهاج السنة ١/ ٧٣.

الجعد بن درهم [١].

فقد زعم الجعد بن درهم تبعًا لبعض فلاسفة النصارى واليونان والصابئة وغيرهم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، فلما أعلن بدعته قتله خالد بن عبدالله القسري (قصّاب الزنادقة) بعد أن حكم الأئمة بقتله خوفًا على الأمة من بدعته [٢].

وقد صارت بدعته هذه من أعظم أصول الجهمية والمعتزلة ومتأخري أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية. إلا أنهم ـ أي أهل الكلام ـ لا ينكرون الصفات ولا يردون نصوصها تكذيبًا، إنما يأولونها بما يقتضي التعطيل، ولا يقرون بما أقر به السلف. ولم يسكتوا عما أمر الله بالسكوت عنه، بل خاضوا مع الخائضين.

٤٢ ـ ظهور بدعة القول بخلق القرآن:

أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن الجعد ثم الجهم على الراجح، ويقال أن أول من قال بخلق القرآن غيلان الدمشقي المقتول سنة (١٠٥) لكن لم تعلن هذه البدعة وتشتهر إلى حين قال بها وأعلنها الجعد بن درهم المقتول سنة (١٢٤هـ) والجهم بن صفوان المقتول (١٢٨هـ).

ولما بلغ علماء السلف هذا القول تعاظموه وأنكروه وأجمعوا على أن من تكلم به فقد تكلم بالكفر [٣]. وقالوا من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ووصفوه بأنه جهمي.

---

(١) (٢) انظر ذم الكلام للهروي (٤٣٦) مخطوط وبيان تلبيس الجهمية ١/٢٥٤، ٢٥٥ (رشيد) والفتاوى ٢/٣٥٤ و٥/٢٠ و٦/٤٧٦ و٨/٣٥٧ والصفدية ٢/٢٦٣.

(٣) انظر اللالكائي ٣/٣٨٠، ٣٨٢.

وبدعة القول بخلق القرآن أشنع بدعة كلامية، انبثقت عنها بدع كثيرة في التعطيل والتأويل في أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله.

٤٣ ـ أول من قال بالجبر (في القدر) الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) ونشأة الجبرية الغالية:

أول من قال بالجبر: الجهم بن صفوان وأتباعه فقالوا كما ذكر شيخ الإسلام:

«إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلاً، وليس بقادر أصلاً»[1].

٤٤ ـ أول من نفى أسماء الله وصفاته الجهمية:

أول من نفى أسماء الله وصفاته الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) وأعني بذلك النفي المطلق (التعطيل)، أما نفي بعض الصفات أو تأويلها فقد سبقه إليه كل من غيلان الدمشقي والجعد بن درهم الذي أنكر الخلة والتكليم.

٤٥ ـ أول من ابتدع الكلام في الجسم والعرض والجوهر:

أول من ابتدع إدخال الكلام في الجسم والعرض والجوهر في تقرير العقائد هم الجهمية والمعتزلة، وقصدوا بذلك نفي الصفات، حيث زعموا أن إثباتها كما ورد في الكتاب والسنة وكما عليه السلف يقتضي التشبيه.

قال شيخ الإسلام:

«وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك. فأول من ابتدعه في الإسلام

---

(١) الفتاوى ٨/ ٤٦٠.

الجهمية وأتبـاعهم من المعتزلة»[١]، «وكذلك الاستدلال على حدوث العـالم بطريق الجسم والعرض إنما ابتدعها في الإسلام هؤلاء. وهذا أصل علم الكلام الذي أطبق على ذمة أئمة الإسلام من الأولين والآخرين.

ولمـا ابتـدع هؤلاء القول بأنه ليس بجسم ولا جوهر عارضهم الطائفة الأخرى من الشيعة وغيرهم فقالوا: بل هو جسم»[٢].

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

«فالجهمية والمعتزلة أول من قال: إن الله ليس بجسم»[٣].

٤٦ ـ أول من اتخذ السواد شعارا للدولة أبو مسلم الخراساني (الشيعي):

يقال إن أول من سن لبس السواد أبو مسلم الخراساني الشيعي سنة (١٣٢هـ) تقريبًا، ثم بعدها صار شعارًا للدولة العباسية، وكان ولا يزال شعارًا للشيعة.

قال الذهبي في لبس السواد: «أول من سنه للدولة أبو مسلم الخراساني»[١]. ومعلوم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لبس السواد لكنه لم يتخذ ذلك شعارًا يلتزمه دائمًا ولم يشرعه ولم يأمر به وجوبا، ولا بغيره من الألوان بل التزام ذلك والإلزام به بدعة.

٤٧ ـ أول من ابتدع الوقيد البرامكة:

أول من ابتدع (الوقيد) إيقاد النيران دائمًا أو في مناسبات محددة

---

(١) (٢) بيان تلبيس الجهمية ٢/٥٥٨، ٥٥٩.
(٣) منهاج السنة ٢/٢٢٠.
(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٦/٥١، والحلية ٧/٥١.

البرامكة في آخر القرن الثاني إحياء لسنة المجوس.

فقد ذكر السيوطي الوقيد ليلة النصف (إيقاد النيران) والسرج، والشموع، وذكر أن ذلك من سنن المجوس أحدثه متلاعب بالشريعة راغب في المجوس لأن النار معبودهم. قال: «وأول ما حدث ذلك زمن البرامكة»، وقال: «ومقصودهم عبادة النيران»[١].

وزمن **البرامكة** في نهاية القرن الثاني للهجرة في ولاية الرشيد.

ويرى كثير من العلماء أن سبب نكبة البرامكة من قبل الرشيد ما ظهر له من سعيهم إلى بث المجوسية وعقائدها بين المسلمين، ومحاولتهم صبغ الدولة بالمراسم الفارسية المجوسية. والله أعلم.

قلت: ويدخل في هذه البدعة المجوسية: إيقاد الشموع عند أعياد الميلاد الخاصة والعامة، وفي الاحتفالات والمناسبات، والتي بدأت تغزو المسلمين مع سائر البدع الحديثة. فتأمل واحذر حفظك الله.

٤٨ - قصة ابتداع التثويب بالمدينة وإنكار مالك له (ت ١٧٩هـ):

قال ابن وضّاح: «ثوب[٢] المؤذن بالمدينة في زمان مالك فأرسل إليه مالك فجاءه فقال له مالك ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا فقال له مالك: لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئًا لم يكن فيه، قد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ١٧٧، ١٧٨.

(٢) ثوب: من التثويب وهو كلام زائد على الأذان ينادي به المؤذن بعده كأن يقول: صلوا هداكم الله. أو يعيد بعض جمل الأذان مرة أخرى فهذا بدعة لأن فيما شرع الله من الأذان كفاية = انظر لسان العرب (ثوب) ١/٢٤٧.

بلدنا ما لم يكن فيه. فكف المؤذن عن ذلك وأقام زمانا، ثم أنه تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر فأرسل إليه مالك فقال له: ما هذا الذي تفعل. قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال: ألم أنهك ألا تحدث عندنا ما لم يكن؟ فقال إنما نهيتني عن التثويب فقال له مالك: لا تفعل فكفّ أيضًا زمانا، ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل مالك إليه فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال له مالك لا تفعل، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ـ قال ابن وضّاح ـ وكان مالك يكره التثويب ـ قال ابن وضّاح ـ وإنما أحدث هذا بالعراق، قلت لابن وضّاح من أول إحداثه؟ فقال لا أدري، قلنا له فهل يعمل به بمكة أو بالمدينة أو بمصر أو غيرها من الأمصار؟ فقال ما سمعته إلا عند بعض الكوفيين والأباضيين»[1].

٤٩ ـ أول من فتق الكلام في الإمامة هشام بن الحكم (ت بعد ١٩٩) رافضي:

قال ابن النديم في ترجمة هشام بن الحكم:

«هو من أصحاب جعفر الصادق، هذب المذهب، وفتق الكلام في الإمامة»[2] أي جعلها من أصول الدين وأركان العقيدة عند الرافضة ـ كالتوحيد والإيمان ـ واخترع لها أحكامًا لم ترد في السنة.

ويقصد بالمذهب مذهب الرافضة. وجعفر الصادق توفي سنة (١٤٨)هـ أما هشام فقد هلك بعد نكبة البرامكة (١٨٧)هـ[3] فقد توفي

---

(١) البدع والنهي عنها ٤٠، ٤١.

(٢) الفهرست ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٤/٦٥٧.

سنة (١٩٩) كما أسلفت.

٥٠ـ انتشار الأهواء والبدع والفلسفة والكلاميات في عهد المأمون:ـ

أول من نشر الأهواء والفرق والفلسفة والكلام وأيدها بقوة الدولة المأمون، فالمأمون قد أثرت فيه الجهمية والمعتزلة، حتى مال إلى بعض أصولهم ومال إلى التشيع فأعلن بدعة القول بخلق القرآن وألزم بها بقوة السلطان، وروَّج كتب الفلاسفة وعلم الكلام والرفض، وانتصر لأصحابها وأعلى شأنهم ومكنهم من مناصب الدولة، وأعلن شيئًا من التشيع.

قال الذهبي:

«والدولة لهارون الرشيد والبرامكة، ثم بعدهم اضطربت الأمور وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين ـ رحمه الله ـ فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة منه في عافية، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله، إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار، وتقع في الحيرة. فالفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأهواء

ومحاراة العقول، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم(١)

وقال الذهبي أيضًا عن المأمون: «قلت: وكان شيعيًّا»(٢) ثم قال: «وقال نفطوية: بعث المأمون مناديًا ينادي في الناس ببراءة الذمة ممن ترحم على معاوية أو ذكره بخير»(٣).

وقد نشطت الباطنية الخبيثة في زمن المأمون(٤).

٥١ ـ الدعوة إلى بدعة الجهمية (القول بخلق القرآن) بقوة السلطان:

المأمون أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن من السلاطين، ودعا إليها بقوة السلطان قال الذهبي: «وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومئتين، فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت» (٥)

وقال الذهبي كذلك:

«أما مسألة القرآن فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمان عشرة وشدد عليهم فأخذه الله»(٦) ثم واصل المحنة بعده الواثق والمعتصم ورفعها المتوكل.

٥٢ ـ أول من ابتدع الأمر بالذكر الجماعي بعد الصلوات في المساجد المأمون سنة ٢١٦هـ (ونشأة البدع العملية):

قال ابن كثير في حوادث سنة ٢١٦هـ: «وفيها كتب المأمون إلى

(١) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٨.
(٢) (٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨١.
(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٨٤، ٢٨٥.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨١.
(٦) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨٣، وفوات الوفيات ٢/٢٣٨.

إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس، فكان أول ما بدىء بذلك في جامع بغداد والرصافة.. وذلك أنهم كانوا إذا قضوا الصلاة قام الناس قيامًا فكبروا ثلاث تكبيرات، ثم استمروا على ذلك بقية الصلوات، وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضًا بلا مستند ولا دليل ولا معتمد، فإن هذا لم يفعله قبله أحد»[1].

٥٣ ـ أول من أطلق لفظ القديم في أسماء الله تعالى (المعتزلة):

أول من أطلق (القديم) على الله تعالى المعتزلة، وهو لفظ مبتدع يغني عنه قوله تعالى: ﴿هو الأول﴾ أي الذي ليس قبله شيء، لكن المعتزلة سايروا الفلاسفة، وأخذوا عنهم هذه المصطلحات المبتدعة، لأن الفلاسفة لا يدينون بالدين الحق، ولا يعرفون ما أنزل الله تعالى على رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فلما ترجمت كتب الفلاسفة في الإسلام واتصل أهل الأهواء بالفلاسفة وتلقوا عنهم وجادلوهم استمدوا منهم مثل هذه الألفاظ كلفظ (القديم).

٥٤ ـ أول من قال في كلام الله تعالى أنه المعنى فقط وأنه قديم ابن كلاب (ت ٢٤١هـ) (ونشأة الفرق الكلامية):

فقد زعم أن الكلام هو المعنى الذي يقوم في القلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار. وهذا كلام مبتدع، وخوض فيما نهى الله عن الخوض فيه، وينافي ما استقر عند السلف وبهذه المقولة نشأت الكلابية أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة.

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٠.

يقول شيخ الإسلام في تقريره أن الكلام هو اللفظ والمعنى:

«ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبدالله بن سعيد بن كلَّاب، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل، وقد أنكر عليه علماء السنة، وعلماء البدعة»(١). ثم ناقشه الشيخ.

وقال في موضع آخر في مسألة الكلام وأنه المعنى القائم في القلب أو بالنفس:

«فلا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول في الإسلام أبومحمد عبدالله بن سعيد بن كلَّاب البصري، واتبعه على ذلك أبوالحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما، وكانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة. ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا، وهذه المسألة: مسألة حد الكلام، قد أنكرها عليهما جميع طوائف المسلمين حتى الفقهاء والأصوليون»(٢) وكذلك أول من أطلق القديم على القرآن وقال: هو قديم: ابن كلَّاب.(٣) وقد بدَّع السلف هذه المقولة ومن قال بها.

---

(١) الفتاوى ٧/١٣٤ (الإيمان).

(٢) الاستقامة ١/٢١٢.

(٣) انظر منهاج السنة ١/٣١٢ - ٣١٤ و٣/٣٦٩ وانظر درء التعارض ٤/٢٥ وهامش اللالكائي ١/٢٢٤.

٥٥ ـ أول من خاض في علم الكلام: من المنتسبين للسلف والسنة ابن كلاب (ت ٢٤١هـ):

أول ما نشأ علم الكلام بين المنتسبين للسنة والحديث في نهاية القرن الثالث، وأول القرن الرابع الهجري، وكان أول من باشر علم الكلام عبدالله بن سعيد بن كلَّاب (ت ٢٤١هـ) وأبو العباس القلانسي (ت ـــ هـ) والحارث المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) بدعوى تأييد عقيدة السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية، ثم انحاز إليهم الأشعري (ت ٣٢٤هـ) فانفتح باب التأويل واختلطت تلك المناهج بمناهج الجهمية والمعتزلة ثم الفلاسفة ثم الصوفية، حتى زعم متأخرو المتكلمين أن علم الكلام هو مذهب أهل السنة والجماعة وجهَّلوا السلف ونسبوا إليهم الحشو والتجسيم[١]، ووقع ما حذر منه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، (تتجارى بهم الأهواء).

أما أهل السنة فما فتئوا ولا يزالون يذمون الكلام وأهله، ويبدِّعون مسالكهم ويحذرون الأمة منها.

٥٦ ـ أول من تكلم بأحوال الصوفية ومقامات الولاية ذو النون المصري (الصوفي) ت ٢٤٥هـ:

يقول ابن الجوزي:

عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: «أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري، فأنكر عليه ذلك عبدالله بن الحكم وكان رئيس مصر، وكان ذهب مذهب مالك،

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٩٣.

وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة»(١) والله أعلم.

٥٧ ـ مقولة أن الأولياء أفضل من الأنبياء:

يقال: أول من قال بأن الأولياء أفضل من الأنبياء أحمد بن أبي الحواري (الصوفي) ت ٢٤٦هـ، فقد ذكر ابن الجوزي أن:

أول من نسب إليه تفضيل الأنبياء على الأولياء أحمد بن أبي الحواري فشهد الناس عليه في ذلك فهرب من دمشق إلى مكة (٢).

والمقولة ظهرت آنذاك، لكن قد تكون نسبتها لابن أبي الحواري غير صحيحة، أو أنه قال بها ثم رجع عنها. قال الذهبي في السير: «قال أحمد السلمي في محن الصوفية: أحمد بن أبي الحواري شهد عليه قوم أنه يفضل الأولياء على الأنياء، وبذلوا الخطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكة، وجاور حتى كتب إليه السلطان يسأله أن يرجع فرجع.

(قال الذهبي): قلت: إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك» (٣).

٥٨ ـ دعوى أن من المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر:

أول من زعم أنه قد يكون من المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر: الحكيم الترمذي (صوفي) [ت ٢٤٥هـ]:

فقد زعم في كتابه (ختم الولاية) أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما.

---

(١) تلبيس إبليس ١٧١، ١٧٢.

(٢) انظر تلبيس إبليس ١٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٩٣.

لكن نقض كلامه هذا حين حكى عن بعض الناس أن الولي يكون منفردًا عن الناس، فأبطل ذلك واحتج بأبي بكر وعمر[١].

وقال شيخ الإسلام عن الحكيم الترمذي:

«وذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء، قام عليه المسلمون وأنكروا عليه ذلك ونفوه من البلد بسبب ذلك»[٢].

٥٩ ـ أول من قال بأن ترك الأعمال الظاهرة أفضل من حق ذي الأعمال القلبية الحكيم الترمذي.

قال شيخ الإسلام حين ذكر أن في كلام الحكيم الترمذي من الخطأ ما يجب رده:

«ومنها [أي من أخطائه] أنه ذكر في كتابه [ختم الولاية] ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة، ولو أنها التطوعات المشروعة، أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية. وهذا أيضًا خطأ عند أئمة الطريق، فإن أكمل الخلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم، ومازال محافظًا على ما يمكنه من الأوراد والتطوعات البدنية إلى مماته»[٣].

قلت: وهذه المقولة قد أدت بالصوفية الغالية أن تدعي أنه يسع الأولياء وشيوخ الصوفية، الاستغناء عن الشريعة وترك العمل بمقتضى الأوامر والنواهي. وأن هذه هي الحقيقة التي ينشدونها ثم ظهرت بسببها

---

(١) انظر الفتاوى ٢/ ٢٢٢.
(٢) رسالة في علم الباطن والظاهر - المنيرية ١/ ٢٥٠.
(٣) الفتاوى ١/ ٢٢٢.

القول بالفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود. والاستغناء بالأعمال القلبية عن اتباع الشرع، ولهذا علاقة بقول مرجئة الجهمية الجبرية بأن **الإنسان إذا عرف الله وصدق بقلبه فقد آمن الإيمان الكامل، والعمل بعد ذلك لا ينفعه ولا يضره.**

٦٠ - دعوى ختم الولاية كما ختمت النبوة:

أول من زعم أن الولاية تختم كالنبوة: الحكيم الترمذي أيضًا كما زعم أن خاتم الأولياء مع الأولياء كخاتم الأنبياء مع الأنبياء، وهذه دعوى من مزاعم الصوفية لا أصل لها في الدين إنما هي من ترهات القوم ودواهيهم.

قال شيخ الإسلام في مناقشته لدعوى ابن عربي وذويه في خاتم الأولياء:

«إن دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء على ما ادعوه باطل، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية)، وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط، مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[1].

٦١ - ظهور قول الكرامية في الإيمان:

أول من قال: الإيمان القول باللسان فقط ابن كَرَّام (ت ٢٥٥):

حيث زعم أن الإيمان نطق اللسان بالتوحيد مجردًا عن عقد القلب وعمل الجوارح[2]، وهذا قول منكر، أنكره السلف وبدَّعوا من قال به، **فإن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أما القول فقط فهو عمل المنافقين.**

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣.

٦٢ ـ دعوى المعراج الصوفي:

يقال إن أبا يزيد البسطامي (الصوفي) (ت ٢٦١هـ) هو أول من قال: لي معراج كما كان للنبي، صلى الله عليه وسلم، معراج فأخرجوه من بسطام[١].

وهذه داهية من دواهي القوم وخرافة من خرافاتهم التي رموا بها الإسلام، وسُلِّم إلى كثير من العقائد الفاسدة التي يدعونها.

٦٣ ـ ظهور دعوى الحلول:

في آخر القرن الثالث ظهرت من خلال غالية الصوفية دعوى الحلول، وأول من أعلن دعوى أن الله حل فيه الحسين بن منصور الحلَّاج (قتل ٣٠١) حين أصر على مقولته الخبيثة ثم تتابعت دعاوى الحلول والفناء والفيض والاتحاد ووحدة الوجود في الفلاسفة وغلاة الصوفية والملاحدة والزنادقة.

٦٤ ـ نشأة فرق المتكلمين (الكلابية والأشاعرة والماتريدية):

نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة.

وبعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة، وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت فرق أهل الكلام القائمة: الأشاعرة المنتسبون لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) والماتريدية: وأتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ).

وقد تدرجت من القول ببعض المسائل الكلامية في الصفات

---

(١) انظر تلبيس إبليس ١٦٧.

والأفعال إلى أن تحولت إلى بعض أصول الجهمية والمعتزلة، والفلاسفة والصوفية كما سيأتي بيانه.

٦٥ ـ أول من أحدث تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز الجهمية والمعتزلة:

تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز على نحو ما عند المتكلمين تقسيم حادث لا أصل له في الدين. إنما تكلم به طوائف من الجهمية والمعتزلة، ثم أهل الكلام المتأخرين.

يقول شيخ الإسلام عن تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز:

«وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة. لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم.

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة بن المثنى[١] في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، إنما عنى بمجاز الآية: ما يعبر به عن الآية»[٢].

وقال: «إلا في كلام أحمد بن حنبل فإنه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله: إنا ونحن ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللغة . . . الخ»[٣] ثم قال:

---

(١) النحوي صاحب التصانيف لا خبرة له بالكتاب والسنة (ت ٢١٠هـ) وكتابه (مجاز القرآن) انظر سير أعلام النبلاء ٩/٢٤٧.

(٢) الفتاوى ٧/٨٨.

(٣) الفتاوى ٧/٨٩.

«فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجودًا في المائة الثانية اللهم إلا أن يكون في أواخرها»(١) وذكر كلامًا جيدًا.

وذكر ابن القيم أن القول بأن الصفات مجاز في الخالق قد صار إليه الجهم بن صفوان، ودرج أصحابه على إثره(٢). ولعله يقصد أن ذلك من لوزام قولهم بالتعطيل والله أعلم.

٦٦ ـ القول بالمجاز في صفات الله تعالى:

اشتهرت مقولة أن صفات الله تعالى مجاز وهي في الإنسان حقيقة في نهاية القرن الثالث، وأول القرن الرابع.

قال الأشعري: «وقال بعض أهل زماننا وهو رجل يعرف بابن الإيادي إن الباري عالم قادر حي سميع بصير في المجاز، والإنسان عالم قادر حي سميع بصير في الحقيقة وكذلك في سائر الصفات»(٣) وذكر ابن القيم أن أبا العباس الناشيء (ت ٢٩٣) قال: بأن الصفات حقيقة في الخالق ومجازًا في المخلوق ووافقه جماعة على ذلك(٤).

٦٧ ـ أول من نقل علم الكلام من خراسان إلى العراق:

أول من نقل الكلام من خراسان إلى العراق: أبو علي الثقفي الخراساني (ت ٣٢٨هـ):

قال الضبعي: «ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد أبو علي الثقفي من العراق.

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٨٩.
(٢) انظر مختصر الصواعق ٢/ ٣٧.
(٣) المقالات ١/ ٢٦١.
(٤) انظر مختصر الصواعق ٢/ ٣٧.

قال الذهبي: «ومع علمه وكماله خالف الإمام ابن خزيمة في مسائل التوفيق والخذلان ومسألة الإيمان ومسألة اللفظ، فألزم البيت ولم يخرج منه إلى أن مات وأصابه في ذلك محن»[(١)]. وعليه فإن علم الكلام كان نشأ على يد الجهمية في خراسان في نهاية الثلث الأول من القرن **الثاني ثم انتقل إلى العراق ـ البصرة وبغداد ـ ثم إلى الحجاز ثم إلى بلاد المغرب في سائر العالم الإسلامي على يد الأشاعرة والماتريدية.**

وفي جميع هذه المراحل وحتى يومنا هذا والسلف يحذرون الأمة من الكلام وأهله.

٦٨ ـ بدع المقابرية من عمل الرافضة الباطنية:

بدع المقابرية والمشاهد والمزارات ظهرت واشتهرت وانتشرت في القرن الرابع والخامس فهي كلها حادثة بعد القرون الثلاثة، مثل:

بدعة البناء على القبور واتخاذها مساجد، والصلاة فيها وعندها، والدعاء عندها والنذر والذبح لها ولأهلها، ودعاء الأموات من دون الله، والطواف بها ونحو ذلك، كلها بدع حادثة لم تنتشر إلا بعد القرون **الثلاثة الفاضلة، وإن كانت وجدت بين الرافضة قبل ذلك لكنها كانت مغمورة.**

وقد شاعت أولاً بين الرافضة، ثم لما صارت لهم دويلات ولأشياعهم الباطنية من العبيدية والبويهية، والقرامطة والإسماعيلية، نشروا بدع المشاهد والقبور والآثار والموالد والاحتفالات البدعية والشركيات.

ثم صارت الطرق الصوفية على سبيل الرافضة تنشر هذه البدع وتروجها حتى عمت بها البلوى في سائر البلاد الإسلامية إلا القليل،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/٢٨٢.

وتحققت بذلك غربة السنة وآهلها.

ففي القرون الثلاثة الفاضلة لا نجد الاشارة إلى بدع القبور ولا الحديث عنها عند أهل العلم خاصة البدع المغلظة، إنما حدث ذلك في المائة الرابعة لما تغيرت أحوال الإسلام [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وما أحفظ لا عن صاحب ولا عن تابع ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحد من ذلك شيئًا، لا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعروفين».

ثم قال:

«نعم صار من نحـو المائة الثالثة يوجد متفرقًا من كلام بعض الناس: فلان ترجى الإجابة عند قبره، وفلان يدعى عند قبره، ونحو ذلك» [2].

وعليه فإن:

أول من ابتـدع تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات الرافضة الباطنية ودويلاتهم، ثم الصوفية بطرقها واتجاهاتها ومدارسها الباطنية والفلسفية والمقابرية.

قال شيخ الإسلام:

«وقد جاءت خلافة بني العباس، وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذبا، وكانوا عند مقتل الحسين

---

(١) انظر قاعدة عظيمة ١٦٢.

(٢) اقتضاء الصراط ٧٢٨/٢.

بكربلاء قد بنوا هناك مشهدًا، وكان ينتابه أمراء عظماء، حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال: إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب. دع خلافة بني العباس في أوائلها، وفي حال استقامتها، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد، سواء منها ما كان صدقًا أو كذبًا، كما حدث فيما بعد، لأن الإسلام كان حينئذ مايزال في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب. ولم يكن قد أحدث مشهد، لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح، أصلًا، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك. وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر. ويقال: إنه حدث قريبًا من ذلك: المكوس في الإسلام.

وقريبًا من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو عبيد القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي - رضي الله عنه - بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك وإنما دفن علي - رضي الله عنه - بقصر الإمارة بالكوفة، وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا: إنه علي، وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده فقالوا: هذا قبر علي، وقد قال قوم: إنه

قبر المغيرة بن شعبة، والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع. فإذا كان بنو بويه وبنو عبيد ـ مع ما كان في الطائفتين من الغلو في التشيع ـ حتى إنهم كانوا يظهرون في دولتهم ببغداد يوم عاشوراء من شعار الرافضة ما لم يظهر مثله، مثل تعليق المسوح على الأبواب، وإخراج النوائح بالأسواق، وكان الأمر يفضي في كثير من الأوقات إلى قتال تعجز الملوك عن دفعه ـ وبسبب ذلك خرج الخرقي ـ صاحب المختصر في الفقه ـ من بغداد، لما ظهر بها سبّ السلف. وبلغ من أمر القرامطة الذين كانوا بالمشرق في تلك الأوقات أنهم أخذوا الحجر الأسود، وبقي معهم مدة، وأنهم قتلوا الحُجاج وألقوهم ببئر زمزم»[(١)].

وقال:

«ولم يكن في العصور المفضلة (مشاهد) على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه؛ لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار، مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك، ومن بدع الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، ما هو معروف لأهل العلم، فبنوا المشاهد المكذوبة (مشهد علي) رضي الله عنه، وأمثاله. وصنف أهل الفرية الأحاديث في زيارة المشاهد والصلاة عندها، والدعاء عندها، وما يشبه ذلك. فصار هؤلاء الزنادقة وأهل البدع المتبعون لهم يعظمون المشاهد، ويبنون المشاهد، وذلك ضد دين المسلمين ويستترون بالتشيع. ففي الأحاديث المتقدمة المتواترة عنه من تعظيم الصديق، ومن النهي عن اتخاذ القبور مساجد،

---

(١) الفتاوى ٢٧/٤٦٥ - ٥٦٧.

ما فيه رد لهاتين البدعتين اللتين هما أصل الشرك وتبديل الإسلام»[١].

وقال الذهبي:

«أول من دس على المسلمين بدع القبور العبيدية بمصر والقرامطة والشيعة»[٢].

وقال الذهبي ـ أيضًا ـ لما ذكر بدع المقابرية بمصر وشركيات تحدث عن قبر نفيسة: «وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»[٣].

٦٩ ـ أول من نقل علم الكلام من المشرق إلى بلاد الحرم والمغرب:

بقيت بلاد الحرم والمغرب سالمة من علم الكلام مدة حتى نقله أبو ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ) بعد القرن الرابع وأول القرن الخامس الهجري[٤]. ويعني هذا أن علم الكلام علم مبتدع ولم تعم به البلوى إلا في القرن الخامس وما بعده.

قال شيخ الإسلام:

«وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم، ويقال أنه أول من أدخلها إلى الحرم، وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه، كما أخذه أبو الوليد الباجي، ثم رحل الباجي إلى العراق، فأخذ طريقه الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل صاحب ابن الباقلاني»[٥].

---

(١) الفتاوى ٢٧/١٦٧، ١٦٨.
(٢) (٣) سير أعلام النبلاء ١٠/١٦.
(٤) انظر درء التعارض ١/٢٧١ وصون المنطق ٧٩.
(٥) درء التعارض ١/١/٢٧١.

وقال:

«قال [يعني الهروي] وسمعت الحسن بن أبي أمامة المالكي يقول: سمعت أبي يقول: لعن الله أبا ذر الهروي، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثه في المغاربة.

قلت: «القائل هو شيخ الإسلام ابن تيمية».

أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل مما هو معروف به، وكان قد قدم إلى بغداد من هراة فأخذ طريقه ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين مما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الضبعي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في (الإرشاد).

ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعي مشكورة وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة. وهم فضلاء عقلاء

احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكـره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوسطها»(١).

٧٠ - ابتداع ما يسمى بمشهد علي (رضي الله عنه):

ومنه ابتداع ما يسمى (مشهد علي) رضي الله عنه - بالنجف أيام بني بويه:

وقد صنع ذلك الرافضة - على عادتهم - في القرن الرابع، وأهل المعـرفـة متفقـون أنه ليس بقبر علي - رضي الله عنه - بل قيل هو قبر المغيرة بن شعبة!

قال شيخ الإسلام:

«وأما المشهد الذي بالنجف فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي بل قيل أنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة.

إنما اتخذ ذلك مشهدًا في ملك بني بويه - الأعاجم - بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة»(٢).

وقال:

«وأما (مشهد علي) فعامة العلماء على أنه ليس قبره؛ بل قد قيل:

---

(١) درء التعارض ٢/١٠١، ١٠٢.

(٢) الفتاوى ٤/٥٠٢.

إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه» (١).

٧١ ـ وضع الأحاديث المكذوبة في زيارة المشاهد والقبور:

أول من وضع الأحاديث في زيارة المشاهد والقبور الرافضة، والمتصوفة.

وذلك بعد المائة الثالثة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي علي القبور أهل البدع من الرافضة ونحوهم» (٢).

وقال شيخ الإسلام :

«و الأحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره [يعني النبي، صلى الله عليه وسلم] ضعيفة بل موضوعة» (٣).

وهذه الأحاديث والحكايات الموضوعة هي عمدة المقابريين والمتصوفة وأهل البدع الذين يشدون الرحال إلى المشاهد والآثار والغيران والقبور ويفعلون البدع عندها.

٧٢ ـ ابتداع ما يسمى بقبر الخليل وما يفعل عنده من البدع:

أول ما ابتدع ما يسمى بقبر الخليل عليه السلام في أول القرن الرابع.

قال شيخ الإسلام، في معرض كلامه عن قبر إبراهيم الخليل عليه السلام:

---

(١) الفتاوى ٢٧/٤٤٦.
(٢) كتاب الزيارة لشيخ الإسلام ٢٥.
(٣) كتاب الزيارة لشيخ الإسلام ٣٨.

«وقد قيل: إنه أول ما أظهر في سنة بضع وثلاثين في خلافة المقتدر (قتل سنة ٣٢٠هـ) لما حدث في الإسلام حوادث كبيرة واستطال الكفار والمنافقون على أهل الإسلام في ذلك الوقت»(١).

٧٣ ـ من البدع ما هو من عمل النصارى:

ومن بدع القبور والمشاهد ما كان من عمل النصارى لما استولوا على بعض بلاد المسلمين أول القرن الخامس، فقد عنوا بما يسمونه بمقدساتهم كحجرة الخليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«اتخاذ حجرة الخليل عليه السلام معبدًا من عمل النصارى في أواخر المائة الرابعة حين استولوا على سواحل الشام وفلسطين وبيت المقدس من يد الرافضة حكام مصر آنذاك، فقد نقبوا الحجرة وجعلوا لها بابا، فكان اتخاذ ذلك معبدًا من عمل النصارى، ليس من عمل سلف الأمة وخيارها»(٢).

٧٤ ـ ابتداع ما يسمى بمشهد الحسين (رضي الله عنه):

ومنه ابتداع ما يسمى (مشهد الحسين) ـ رضي الله عنه ـ بالقاهرة وبعسقلان فهذا المشهد مبتدع حادث من وثنيات الباطنية العبيدية. ابتدع بعد (٤٩٠هـ).

قال شيخ الإسلام:

«ومن هذا الباب نقل الناقل: إن هذا القبر الذي بالقاهرة (مشهد الحسين) رضي الله عنه، بل وكذلك مشاهد غير هذا مضافة إلى

---

(١) قاعدة عظيمة ٥٤. واقتضاء الصراط ٢/٨٢٤.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٢٤. وقاعدة عظيمة ٥٤.

قبر الحسين ـ رضي الله عنه ـ فإنه معلوم باتفاق الناس: أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان، وأن ذلك المشهد بعسقلان كان قد أحدث بعد التسعين والأربعمائة. فأصل هذا المشهد القاهري: هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا القاهري محدث بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة. وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم، على اختلاف أصنافهم كأهل الحديث، ومصنفي أخبار القاهرة، ومصنفي التواريخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة. فمثل هذا مستفيض عندهم، وهذا بينهم مشهور متواتر، سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب، لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية[1].

٧٥ ـ ابتداع ما يسمى (صلاة الرغائب) سنة (٤٤٨هـ):

أول من ابتدع ما يسمى (صلاة الرغائب) ابن أبي الحمراء بالمسجد الأقصى، وهي صلاة يقيمها أهل البدع ليلة النصف من شعبان وفي شهر رجب.

قال الشاطبي:

«ومثاله ما حكى الطرطوشي في أصل القيام ليلة النصف من شعبان عن أبي محمد المقدسي. قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما أحدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة: قدم علينا رجل في بيت المقدس يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة

(١) الفتاوى ٢٧/ ٤٥٥، ٤٥٦.

النصف من شعبان فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهو في جماعة كبيرة.

ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استمرت كأنها سنة إلى يومنا هذا. فقلت له: فرأيتك تصليها في جماعة قال: نعم! وأستغفر الله منها»[١].

قلت: سبحان الله هكذا تكون نتيجة التساهل بأمر المحدثات والبدع، وتركها في بدايتها دون نكير، فضلاً عن فعلها مجاراة للناس، فإن ذلك يؤدي إلى ما حدث في مثل هذه الصلاة التي أصبحت عند أهل البدع هي السنة ومنكرها هو المبتدع بزعمهم.

٧٦ ـ وضع الأحاديث المكذوبة في صلاة الرغائب:

ومن عبث الشيطان بأهل الأهواء بعد أن فتنوا بصلاة الرَّغائب المبتدعة أن زُين لبعضهم الكذب، فوضعوا الأحاديث في هذه الصلاة.

قال السيوطي في كتابه (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع): «قال الإمام الحافظ أبو الخطاب: أما صلاة الرغائب فالمتهم بوضعها علي بن عبدالله بن جهضم وضعها بحديث عن رجال مجهولين، ولم يوجدوا في جميع الكتب»[٢].

وفي الباعث لأبي شامة أن صلاة الرغائب أحدثت سنة (٤٤٨هـ) وذكر القصة[٣].

---

(١) الاعتصام ١/١٦٨، ١٦٩.

(٢) الأمر بالاتباع ١٦٨.

(٣) الأمر بالاتباع ١٦٨، ١٦٩، وانظر الباعث ٣٢، ٣٣.

وذكـر السيـوطي عن ابن الصلاح أن الصلاة المعروفة في ليلة الـرغـائب بدعـة وحـديثهـا المروي موضوع وما حدثت إلا بعد سنة (٤٠٠هـ)[1] وعليه فإن المبتدعة الذين لا يزالون يصرون على هذه البدع لا حجة لهم إلا الهوى وتزيين الشيطان، وتقليد الشيوخ بغير هدى ولا دليل.

٧٧ ـ أول من نفى الصفات الخبرية من الأشاعرة:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية:

أن أول من نفى الصفـات الخـبرية من الأشـاعـرة أبو المعالي الجويني[٤] (ت ٤٧٨هـ):

أي أول من توسع في وضع القواعد الفلسفية والكلامية وقانون تأويل الصفـات بعد الجهمية والمعتزلة أبو المعالي الجويني ثم أتم هذا المنهاج الرازي. حيث توسع في ذلك، وبالغ في دفع نصوص الشرع في الصفات بالعقليات كما في كتابه أساس التقديس، وقد رد عليه شيخ الإسلام وعلى أمثاله في كتابه (بيان تلبيس الجهمية)، وفي درء التعارض وغيرهما. والتأويل موجود في الأشاعرة في وقت مبكر لكن من غير قانون ولا ضابط فلسفي كما حصل على يد الرازي والجويني والغزالي والآمدي ونحوهم.

٧٨ ـ ابتداع الصلاة الرجبية:

ذكر السيوطي في كتاب (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع) أن

---

(١) انظر الأمر بالاتباع ١٦٩، ١٧٠.

(٢) انظر درء التعارض ٢/١٨.

الصلاة المسماة بصلاة رجب لم تحدث إلا بعد سنة (٤٨٠هـ)[١]. وذكر أبو شامة أن الصلاة الرجبية ما حدثت إلا بعد سنة (٤٠٠هـ)[٢].

٧٩ ـ ابتداع مشهد ما يسمى (رأس الحسين):

أول من ابتـدع مشهد (رأس الحسين) رضي الله عنه الرافضة العبيدية الباطنية في عهد بلقاسم بن الظافر (ت ٥٥٥هـ)[٣] زعما منهم أنهم نقلوه من عسقلان. وهذا كذب فإنه الذي يرجحه أهل العلم ما ذكر الزبير بن بكار في (أنساب قريش) وهو من أعلم الناس وأوثقهم في هذا الشأن: أن رأس الحسين ـ رضي الله عنه ـ لما قتل نقل إلى المدينة ودفن هناك[٤].

٨٠ ـ أول من ابتدع القول بعدم القطع في اليقينيات:

وهو عدم القطع بالثابت اليقيني وهو نوع من الوسواس، كأن يقول هذا إنسان ـ إن شاء الله ـ و «أو لا إله إلا الله إن شاء الله، أو محمـد رسول الله إن شاء الله، أو الامتناع أن يقول محمد رسول الله قطعًا، وأن يقول هذه شجرة قطعًا. فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين». وهـذا المقـولة قال بها طائفة من المنتسبين لأبي عمرو بن مرزوق (ت ٥٦٤) إنما ابتدعها لهم أحد تلاميذه يقال له «حازم»[٥].

---

(١) انظر الأمر بالاتباع ١٦٨، ١٧٠.
(٢) انظر الباعث ٣٢، ٣٣.
(٣) انظر الفتاوى ٤/٥٠٨.
(٤) انظر الفتاوى ٤/٥٠٩.
(٥) انظر الفتاوى ٨/٤٢١. وطبقات الحنابلة ١/٣١٠، ٣١١.

قال شيخ الإسلام :

«وأما الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن : مثل قوله هذه شجرة إن شاء الله أو هذا إنسان إن شاء الله ، أو السماء فوقنا إن شاء الله . أو لا إله إلا الله إن شاء الله . أو محمد رسول الله إن شاء الله . أو الامتناع من أن يقـول محمد رسول الله قطعاً . وأن يقول : هذه شجرة قطعاً فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين .

ولم يبلغنا عن أحـد من أهـل «الإسـلام» إلا عن طائفة من المنتسبين إلى الشيخ أبي عمرو بن مرزوق ولم يكن الشيخ يقول بذلك ولا عقلاء أصحابه . ولكن حدثني بعض الخبيرين أنه بعد موته تنازع صاحبان له : حازم وعبدالملك فابتدع حازم هذه البدعة في الاستثناء في الأمور الماضية المقطوع بها . وترك القطع بذلك . وخالفه عبدالملك في ذلك موافقة لجماعة المسلمين وأئمة الدين .

وأما «الشيخ أبو عمرو» فكان أعقل من أن يدخل في مثل هذا الهذيان ، فإنه كان له علم ودين[١] .

٨١ ـ أول من زعم أنه خاتم الأولياء:

أول من إدعى أنه خاتم الأولياء ابن عربي الطائي (ت ٦٣٦)، وهذه الفكرة امتداد لمقولة الترمذي (الحكيم)[٢] .

٨٢ ـ أول من زعم أن فرعون مؤمن:

أول من زعم أن فرعـون موسى مؤمن ابن عربي الـطائي (ت

---

(١) انظر الفتاوى ٨/٤٢١، ٤٢٢ .

(٢) انظر فصوص الحكم مع شرح القاشاني ٢٠٢ - ٢٠٧ وانظر ص (٧٩) من هذا الكتاب .

٦٣٧هـ) ولم يسبق إلى ذلك من جميع الديانات والفرق [١].

وهذا تكذيب لكلام الله تعالى ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وإبطال لرسالة موسى عليه السلام. ثم هو يكذب على الله ورسوله.

وهذا (أي تكذيب كلام الله تعالى والكذب عليه وإبطال الحق وتحقيق الباطل منهج سلكه ابن عربي، فهو أول من زعم أن عباد العجل والأوثان إنما عبدوا الله وحققوا التوحيد. وهذا ضلال مبين، وقلب للحقائق، حيث جعل الشرك هو التوحيد، والتوحيد هو الشرك، لأنه حلولي وحدودي، وهذه الطريقة الخبيثة قد سلكها ابن عربي في كثير من تصانيفه وأشعاره، فكان يصور الحق باطلا والباطل حقاً، والأبرار فجارًا، والفجار أبرارًا، ويرمي الأنبياء والصالحين بالجهل والقصور والغفلة، ويرفع من شأن خصومهم الملاحدة والمشركين الزنادقة والفلاسفة [٢]، كما سيأتي تفصيله في حلقة قادمة إن شاء الله.

هذه أهم أصول الأهواء والافتراق والبدع وبعد: إلى القرن السابع الهجري وما بعدها امتدادها أو فرع عنها.. إلى ما بعد القرن العاشر الهجري حيث استجدت على المسلمين أهواء جديدة وأصول بدع لم تكن من نوع مما سبق، أو أكثرها وارد من الكفار الغربيين بعد

---

(١) الفتاوى ٢/٢٧٩.

(٢) انظر على سبيل المثال: فصوص الحكم له ١/٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٩٤، ١٩٢ والوصايا له ٣، ٤، ٩٩، ١٠٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٧١، ١٩٢، ٢٠١.
وانظر جامع الرسائل لابن تيمية ١/١٦٤، ١٦٥ - ١٦٧ وبغية المرتاد ٣٩٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٨ والصفدية ١/٢٥١، ٢٦٦ ومنهاج السنة ٥/٣٣٦، ٣٧٧.

احتلالهم لأكثر بلاد المسلمين وبعد أن وقع كثير من المسلمين، بالتشبه بالكفار.

حيث ظهرت بدع طامات مثل تحكيم القوانين الوضعية أو ظهور الانتماءات لغير الإسلام كالقوميات والوطنيات، والمذاهب الهدامة، كالاشتراكية والبعثية والشيوعية والرأسمالية والوجودية والعلمانية، والحداثة ونحوها، وقد اختلط بعض أصولها بالاتجاهات الإسلامية المتخصصة وهذا يحتاج إلى نوع آخر من البحث والدارسة.

أسأل الله أن يعين عليه وييسر له من يتصدى له من طلاب العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القسـم الثانـي
فـي
أسباب الأهواء والافتراق والبدع

توطئة

حينما نستعرض تأريخ الأهواء والافتراق والبدع في الإسلام، ونستجلي أسبابها نجد أنها ترجع إلى عوامل كثيرة ومتنوعة، حسب البيئات والأقاليم، وحسب الأشخاص والمجتمعات أو حسب الأحوال التي تكون عليها الأمة من القوة أو الضعف، والغنى أو الفقر، والعلم أو الجهل، والاجتماع أو خلافه، ونحو ذلك من العوامل التي تؤثر في المسلمين سلبًا أو إيجابًا.

وعليه فإن أسباب الأهواء والافتراق والبدع أصناف منها:

١ـ الأسباب الخارجية:

كتأثير الأمم من الفرس والروم والهند واليونان ونحوهم، والديانات والنحل كاليهودية، والنصرانية، والصائبة والمجوسية، والديانات الهندية، والفلاسفة. والمشركين ونحوهم.

٢ـ الأسباب الداخلية:

كالقبليات، والشعوبية، وسائر العصبيات والاختلافات المذمومة، والهوى، واتباع الشبهات والشهوات، والإعراض عن دين الله وشرعه، والجهل والغلو، والعجمة، والتنافس في الدنيا، والتشبه بغير المسلمين، وغير الصالحين، والخصومات والجدل والمراء في الدين، والفتن، والترجمة والنفاق والزندقة، والتأويل ونحو ذلك.

٣ـ الأسباب المنهجية:

وهي الانحراف في المناهج ويدخل في ذلك: تلقى الدين من غير مصادره الشرعية، أو الخلط في ذلك، والكذب ووضع الأحاديث والآثار، والخلل في طريقة الاستدلال. والتلقي عن غير أهل الديانة

والأمانة والاستقامة (السنة).

وإحداث مناهج في تقرير الدين، والعمل به تخالف مناهج السلف الصالح وتتبع غير سبيل المؤمنين.

وهذه الأصناف يدخل فيها أسباب كثيرة:

هذا وقد حصرت أسباب الأهواء والافتراق والبدع التي توصلت إليها في خمسة عشر سببًا، جعلت كل سبب تحت عنوان رئيسي وبعض هذه الأسباب يتفرع عنه أسباب فرعية رمزت لها بالأرقام، وقد يندرج تحت الأرقام أيضًا تفصيلات رمزت لها بالحروف الأبجدية.

أما الأسباب الرئيسة التي عرضتها هنا فهي:

أولًا ـ أن الاختلاف من سنن الله تعالى التي قدرها على عباده.

ثانياً ـ الخلل في منهج التلقي.

ثالثاً ـ الخلل في منهج الاستلال.

رابعًا ـ الجدل والخصومات والمراء في الدين.

خامساً ـ العجمة وضعف اللسان العربي.

سادسًا ـ الجهل والظلم والاعراض عن دين الله.

سابعًا ـ التشبه بالكفار وإتباع السنن.

ثامنًا ـ إتابع الهوىٰ والظن.

تاسعًا ـ مخالطة أهل الأهواء.

عاشرًا ـ الفتن.

حادي عشر ـ الكذب ووضع الأحاديث.

ثاني عشر ـ استهواء العقليات والفلسفات (علم الكلام).

ثالث عشر ـ الغلو والعصب.

رابع عشر ـ ترجمة الكتب الأجنبية وجلبها وترويجها بين المسلمين.

أولا: أن الاختلاف من سنة الله تعالى التي قدرها على عباده

لقد حكم الله تعالى بالاختلاف في الأمم قدرًا، وكتب ذلك، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وذلك ابتلاء للعباد، ولم يكن ذلك جبراً للعباد؛ لأن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجة وبين المحجة، فمن آمن آمن عن بينه، ومن ضل وأعرض فعن بينه، وما ربك بظلام للعبيد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيلَ إِمَّا شَاكراً وإِمَا كَفُوراً﴾[سورة الإنسان، الآية:٣]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمةً وَاحِدَةً فَبعَثَ الله النَّبيينَ مُبشرِينَ وَمنُذرِينَ وأَنزَل معَهمُ الْكتَابَ بالحَقِّ ليحكُمَ بَيْنَ النَّاس فيمَا اخْتَلَفوا فيه وَمَا اخْتَلَفَ فيهِ إلَّا الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتهُمُ البيَناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهدى الله الَّذِينَ آمَنُوا لمِاَ اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الْحَقِّ بإذنهِ والله يَهْدي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[سورة البقرة، الآية:٢١٣]، فقد أعذر الله تعالى من عباده حين جاءتهم البينات، فما بعد الحق إلا الضلال، وقال تعالى: ﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإِسلامُ وَما اختلَفَ الَّذينَ أُوتُوا الكتابَ إلَّا من بعدِ مَا جَاءهُمُ العلمُ بَغْياً بينَهُمْ وَمَن يَكفُرْ بآياتِ الله فإنَّ الله سَريعُ الحْسابِ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٩]، والاختلاف والافتراق في هذه الأمة وما سبقها من الأمم سنة من سنن الله تعالى، قال تعالى: ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لجعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحدةً ولَا يَزالونَ مُختَلفينَ﴾[سورة هود، الآية: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿كَان الناسُ أُمةً واحدةً فبعثَ الله النَّبيينَ مبشرينَ وَمنذرينَ وأَنزَلَ معهمُ الكتَابَ بالحَقِّ ليحكمَ بينَ النَّاسِ فيمَا اختلفوا فيهِ وَمَا اختلفَ فيهِ إلَّا الذينَ أُوتُوهُ من بَعْدِ مَا

جَاءتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَينهمْ فَهَدَىٰ الله الذين آمنوا لِمَا اختَلَفُوا فيهِ مِنَ الحقِّ بإذنِهِ والله يهدي مَن يَشاء إلىٰ صِراطٍ مُستَقيم﴾[سورة البقرة، الآية: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إلا أُمَّةً واحدَةً فاختلفوا ولَولاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِكَ لقضي بَيْنَهُمْ فيمَا فيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[سورة يونس، ، الآية: ١٩]، فتلك سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وقد أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، في الثابت عنه أن الأمة ـ يعني طوائف منها ـ ستتبع سنن الأمم السابقة، وأنها ستفرق، وقد سبق بيان ذلك تفصيلاً في الحلقة الأولى(١) فليراجع.

وللشاطبي في التقدير السابق وأن الله تعالى كتب الاختلاف قدرًا على الأمم كلام جيد جاء فيه.

وقال الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبدًا، مع أنه إنما خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين في الآية، وأن قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ معناه: وللاختلاف خلقهم. وهو مروي عن مالك بن أنس قال: خلقهم ليكونوا فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير. ونحوه عن الحسن، فالضمير في «خلقهم»، عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما سبق في العلم، وليس المراد هاهنا الاختلاف في الصور كالحسن والقبيح والطويل والقصير، ولا في الألوان كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة كالتام الخلق والأعمى والبصير، والأصم والسميع، ولا في الخُلق

(١) راجع الحلقة الأولى (مقدمات في الأهواء. .) ٣٩ ـ ٦٩.

كالشجاع والجبان، والجواد والبخيل، ولا فيما أشبه ذلك من الأوصاف التي هم مختلفون فيها.

وإنما المراد اختلاف آخر وهو الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، كما قال تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه**﴾ الآية، وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد به الإنسان أو يشقى في الآخرة والدنيا»[١]. والاختلاف واقع لا ينكر وحقيقة لا محيد عنها، إنما الشأن فيمن يوفقه الله سلوك طريق النجاة، واجتناب سبل الضلال والغواية.

---

(١) الاعتصام ٢/١٦٥.

ثانيا : الخلل في منهج التلقي

ويشمل :

١ ـ أخذ الدين عن غير الكتاب والسنة .

٢ ـ كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء .

٣ ـ ترك تلقي العلم عن العلماء وترك مجالستهم .

٤ ـ التتلمذ على الأصاغر وهم أهل الأهواء والأحداث، وضعاف الفقه في الدين .

٥ ـ تفقه الرعاع والسفلة من غير أهلية ولا جدارة ولا استعداد .

٦ ـ تلقي الدين على غير أصوله الشرعية وبغير وسائله السليمة .

٧ ـ التلقي عن أهل الكتاب ونحوهم من الكفار والضلال .

٨ ـ اتباع زلة العالم .

المقصود بمنهج التلقي:

أقصد بمنهج التلقي هنا : الطريقة التي يستمد منها أهل الأهواء والافتراق الدين عمومًا والعقيدة على وجه الخصوص من حيث المصادر والأسلوب ومنه : الطريقة التي يتم بها الاستدلال والحكم . لكن لأهميتها سأفردها سببًا مستقلاً .

منهج أهل السنة في التلقي:

ـ المنهج الحق الذي عليه أهل السنة ، السلف الصالح ، تلقي الدين من الكتاب والسنة (أي ما ثبت عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من قول أو فعل أو تقرير ولو كان بطريق الآحاد) والإجماع ، والإجماع

مبني على الكتاب والسنة عندهم .

ـ هذا من حيث المصدر؛ أما من حيث الأسلوب فإن أهل السنة :

يسلِّمون بما جاء عن الله تعالى وثبت عن رسوله، صلى الله عليه وسلم .

ـ ولا يتعمقون فيما لم يرد فيه نص من مسائل الاعتقاد لا ببحث ولا سؤال .

ـ ويتلقون العلم عن أئمتهم كما تلقاه الصحابة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتلقاه السلف عن الصحابة، وتلقاه الأئمة عن الأئمة العدول، وكل أحد عندهم يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم، صلى الله عليه وسلم، والميزان في ذلك الكتاب والسنة، والراسخون في العلم هم الذين يستنبطون دلائل الكتاب والسنة ويحكمون بها فيما تنازعت فيه الأمة .

ـ ويلتزمون قواعد الاستدلال الشرعية السليمة .

* أما أهل الأهواء والبدع والافتراق فهم خلاف ذلك كله، فهم من حيث المصدر:

ـ لا يكتفون بالكتاب والسنة وكل منهم له في ذلك طرائق : فمنهم من يعوِّل على الأوهام والفلسفة ويسميها (العقليات) كالفرق الكلامية .

ـ ومنهم من يعتمد الأحلام والرؤى والكشف والذوق كالصوفية .

ـ ومنهم من يعتمد على الرجال ويزعم لهم القداسة وعلم الغيب كالرافضة والصوفية .

ـ ومنهم من يتلقى من مصادر شتى : من أهل الكتاب والمجوس والصابئة والفلاسفة وغيرهم، كالباطنية وكثير من فرق أهل الكلام

والصوفية والرافضة.

- **ومن حيث الطريقة**: فإنهم لا يستمدون دينهم من أهل العلم الثقات.

- ولا يلتزمون منهج أئمة الهدى، ولا يدينون لهم بالسبق والعلم والفضل.

- ويتتلمذون على الأصاغر أهل البدع والأحداث، أو على أنفسهم فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم ويلمزونهم، ويتعمقون في الدين ويسألون ويبحثون فيما نهوا عنه من مسائل القدر والصفات والسمعيات وأمور الغيب.

- ويتلقون عن أي مصدر يحلو لهم حسب مذاهبهم واتجاهاتهم.

- ويقصرٌون في تلقي العلم الشرعي.

- وإن تلقوه فعلى غير أصول صحيحة ولا قواعد شرعية سليمة.

هذا المنهج المختل عند أهل الأهواء كان من أسباب تماديهم في الضلالة والبدع والافتراق.

وسأفصل بعض هذه الأصول المنحرفة في منهج التلقي عند أهل الأهواء على النحو التالي:

١ - أخذ الدين عن غير الكتاب والسنة وآثار السلف:

من أسباب الأهواء والافتراق تلقي العقائد والعبادات والأحكام والآراء عن غير الوحي، **وذلك يشمل مصادر كثيرة**:

- كالاعتماد على الرأي المجرد.

- وتقديم العقل على النص، وتحكيمه فيه.

- واتباع الهوى وما تشتهيه الأنفس.

- والاعتماد على آراء الرجال.
- أو ادعاء أن منهم معصوم غير الرسول، صلى الله عليه وسلم.
- الاستدلال بالرؤى والأحلام والكشف والذوق، ولو خالفت الكتاب والسنة.
- أو الاستمداد من كتب الأمم كأهل الكتاب والفلاسفة والصابئة والمجوس والهنود والفرس والروم وغيرهم. والمتأمل لحال أهل الأهواء يجد من أعظم أسباب انحرافاتهم في التلقي:

أ - اعتمادهم على الحكايات والرؤى:

من مصادر أهل الأهواء كذلك الحكايات التي لا أصل لها، أو الموضوعة، والاسرائيليَّات، يقول شيخ الإسلام في بيان مصادر الحق أنها:

«الكتاب والسنة والإجماع. وبإزائه لقوم آخرين المنامات، والإسرائيليَّات والحكايات»[١].

أقول: يدخل في الحكايات كل ما تكلم به المتكلمون والفرق المفترقة، وأصحاب الطرق مما لا أصل له شرعًا في مسائل العقيدة وأمور الغيب وسائر أمور الدين.

ويقول الشاطبي:

«و أضعف هؤلاء احتجاجًا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات - وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا كثيرًا للمتمرسين

---

(١) الفتاوى ١٩/٥.

برسم التصوف وربما قال بعضهم: رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، في النوم، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة. وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا»[1].

ب ـ اعتمادهم على العقليات أكثر من الشرعيات:

فالمتكلمون يجعلون الأدلة العقلية عمدتهم، ويكثرون من العقليات في الاستدلال ويتكلفون في ذلك حتى في البديهيات، بل جعلوا المسائل الكبار النظرية البدهية من العقليات المعقدة، مثل وجود الله ووحدانيته وربوبيته ـ سبحانه ـ مع أن الجانب العقلي ـ أعني البراهين والدلائل العقلية والفطرية ـ في هذه الأمور ونحوها قد جاء به الوحي بما لا مزيد عليه إلا التكلف المؤدي إلى الحيرة والاضطراب والقول على الله بغير علم.

جـ ـ اعتمادهم على كتب الأدب والكلام والفلسفة ونحوها:

فتجد من سمات أهل الأهواء أنهم يعتمدون في تقرير الدين والعقيدة على ما لا يصح مصدرًا للدين مثل كتب الأدب والتاريخ والسير أو الفلسفة والكلام ومالا أصل له إلا زبالات أوهام البشر وتخريفاتهم، أو أفكارهم التي لم تسترشد بالشرع.

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٦٠.

قال شيخ الإسلام:

«ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم، ونجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضًا»(١).

د - دعوى بعضهم - كغلاة الصوفية - أنه يستمد من الله مباشرة:

لما فتح أهل الأهواء باب الاستمداد من غير الكتاب والسنة وسلف الأمة، لم يقف الأمر بهم عند حد، حتى زعم غلاتهم أنه يستمد من الله تعالى كما يستمد الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره، فالذي يقول: إنه يحدث عن قلبه عن ربه، أو أنه يأخذ عن الله بلا واسطة، وأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وأنه يحدث بمقتضى الأقيسة القطعية أولى، فإن هذا يدّعي ماهو عنده أعلى وإن كان له نصيب من قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾.

وقد سأل بعضهم مالكًا عن بعض من كان بالعراق من هؤلاء

---

(١) الفتاوى ١١٩/٧.

المبطلين فقال كلمة أو كلامًا فيه هؤلاء الدجاجلة، قال ما سمعت جمع دجاجلة إلا من مالك.

وأصل الدجل التغطية والتمويه والتلبيس. ومعلوم أن أتباع مسليمة الكذاب والأسود العنسي، وطليحة الأسدي وسجاح، كانوا مرتدين، وقد قاتلهم أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع أن مسيلمة إنما ادعى المشاركة في النبوة لم يدعي الألوهية، ولا أتى بقرآن يناقض التوحيد، بل جاء بكلام يتضمن ما ادعاه من الشركة في الرسالة، وأسجاع من الكلام الذي لا فائدة فيه، ولهذا قال أبو بكر لبعض بني حنيفة وقد استقرأهم شيئًا من قرآن مسيلمة فلما قرأوه قال: «ويحكم أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ»[1] يعني لم يخرج من رب[2].

هـ - ومن شر أهل الأهواء من يزعم العصمة لغير الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويتلقى عنهم:

فالرافضة وغلاة الصوفية والباطنية يعتقدون العصمة للأئمة والأولياء ويستمدون عنهم من دون الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال شيخ الإسلام:

«وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشائخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء، فالرافضة تزعم أن الإثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب، ويرون هذا من

(١) بغية المرتاد ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) انظر القاموس المحيط فصل الهمزة باب اللام ٣/ ٣٤٠.

أصول دينهم، والغالية في المشائخ يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه؛ فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطىء ولا يذنب؟ وقد بلغ الغلو بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأفضل، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعًا من الألهية وكل هذا من الجاهلية المضاهية للضلالات النصرانية»(١).

و ـ تلقيهم عن الديانات والفلسفات الأجنبية:

فأصول المتكلمين في التعطيل والتأويل وإنكار أفعال الله تعالى مستمدة من الديانات والفلسفات الضالة فقد ذكر شيخ الإسلام أن أصل مقولتهم بنفي المحبة والخلة: «مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلًا، وهؤلاء أعداء الخليل إبراهيم - عليه السلام . . . »(٢).

وقال أيضًا:

«ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين متابعة للجعد بن درهم والجهم، وكان مبدأ ذلك أن الصابئة في الخلق على قولهم، منهم من يقول: إن السماوات مخلوقة بعد أن لم تكن كما أخبرت بذلك الرسل وكتب الله تعالى، ومنهم من ابتدع فقال: بل هي قديمة أزلية لم تزل موجودة بوجود الأول واجب الوجود بنفسه، ومنهم من قد ينكر الصانع

---

(١) الفتاوى ١١/٦٧.

(٢) الفتاوى ١٠/٦٧.

بالكلية. ولهم مقالات كثيرة الاضطراب في الخلق والبعث والمبدأ والمعاد؛ لأنهم لم يكونوا معتصمين بحبل الله فيجمعهم، والظنون لا تجمع الناس في مثل هذه الأمور التي تعجز الآراء عن إدراك حقائقها إلا بوحي من الله تعالى»[١].

اعتماد متأخري المعتزلة وأهل الكلام على الفلسفة:

الفلسفة مصدر أساسي عند المعتزلة، كما يقول الشهرستاني بعد ذكره أن من أصول واصل بن عطاء القول بنفي الصفات: «وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة، وكان واصل بن عطاء فيها على قول ظاهر» قال: «وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة»[٢].

وبلغ الاعتماد على الفلاسفة عند أهل الكلام إلى أن نقلوا عنهم واستمدوا منهم مقولاتهم في الله تعالى وصفاته وأفعاله، قال شيخ الإسلام: «فنقل أرباب المقالات الناقلون لاختلاف الفلاسفة في الباري ما هو؟

قالوا: قال سقراط وأفلاطون وأرسطو: إن الباري لا يعبر عنه إلا بهُوَ فقط، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة، وهي الحكمة المحضة والحق المحض، وليست لله صورة مثل الصورة التي تكثرت في العنصر، وهو الأيس[٣] الذي لا يحيط به الذهن ولا العقل ولا يجوز عليه التغير ولا الصفة ولا العدد ولا الإضافة ولا الوقت ولا المكان ولا الحدود، ولا

---

(١) الفتاوى ١٢/ ٢٧.

(٢) الملل والنحل ١/ ٤٦.

(٣) الأيس: الوجود. انظر هامش درء التعارض ٢/ ١٦٠.

يدرك بالحواس ولا بالعقول من جهة غاية الكُنْه، لكن بأنه واحد أزلي ليس باثنين، لأنا إن أوقعنا عليه العدد لزمته التثنية، وإن أوقعنا عليه الإضافة لزمه الزمان والمكان والقبلُ والبعد، وإن أوقعنا عليه المكان لزمه الحدود وجعلناه متناهيًا إلى غيره»[1] إلخ هذيانهم وخوضهم وتخرّصاتهم.

وهكذا نرى هذه المقولات الفلسفية المبنبة على التوهمات والظنون هي ما يقوله المعتزلة وأهل الكلام بعدهم من متكلمة الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم في نفيهم الصورة، والحدود والمكان(*) ونحو ذلك من الأمور المبتدعة ونفي الصفات من قبل المعتزلة ونفي الأسماء والصفات من قبل الجهمية، والتعبير عنه بـ (هو) كما يفعل غلاة الصوفية.

وقال أبو الحسن الأشعري في المقالات: وهو الخبير بأهل الكلام ومصادرهم ومقالاتهم:

«الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين، وعَمى العَمِينَ، وحيرة المتحيرين، الذين نَفَوْا صفات ربّ العالمين، وقالوا: إنَّ الله جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه لا صفات له، وإنه لا عِلم له، ولا قدرة له، ولا حياة له، ولا سمع له، ولا بصرٍ له، ولا عزّ له، ولا جلال له، ولا عظمة له، ولا كبرياء له، وكذلك قالوا في سائر صفات الله - عز وجل - التي يُوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين

---

(١) درء التعارض ٢/١٥٩ - ١٦٢.

(*) الصورة وردت في النصوص في حق الله تعالى، أما الحدود والمكان فهي من الألفاظ المبتدعة ومنهج السلف فيها التفصيل؛ فمعانيها التي توافق النصوص الشرعية الثابتة يقرونها ويردونها إلى ألفاظ الشرع كالعلو والفوقية والاستواء، وما خالف النصوص ردوه.

يزعمون أن للعالم صانعًا لم يزل، ليس بعالم ولا قدير ولا حيّ ولا سميع ولا بصير ولا قديم، وعبروا عنه بأن قالوا نقول: عينٌ لم يزل، ولم يزيدوا على ذلك، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يُظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره، فأظهروا مَعناه بنفيهم أن يكون للبارىء علمٍ وقدرة وحياة وسمع وبصر، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تُظهره من ذلك؛ ولأفصحوا به، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك»[1].

ذلكم كما فعل (الرازي) في استدلاله بأقوال الفلاسفة في تقرير الإلهيات، قال الرازي: «ونختم هذا الباب بما روي عن أرسطاطاليس أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات» «من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى» قال الرازي: «وهذا كلام موافق للوحي والنبوة»[2] وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية»[3].

ز - من مناهج أهل الأهواء في التلقي الاعتماد على الكذب والموضوعات وما لا سند له:

من أسباب ضلال أهل الأهواء اعتمادهم في التلقي والاستدلال على مالا أصل له من الموضوعات والمكذوبات والأسانيد التي لا تصح. فهم يكذبون، ويتلقفون المكذوب في سبيل تأييد أهوائهم، وبالمقابل يقل اعتمادهم على الصحيح الذي يرويه أهل الحديث الذين هم أعدل وأصدق، بل كثيرا ما يردون الصحيح إذا لم يوافق هواهم.

---

(١) مقالات الإسلاميين ٢/١٧٦، ١٧٧.

(٢) أساس التقديس ١٣، ١٤.

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/٤٥٢ (رشيد).

قال شيخ الإسلام:

«والمصنفون من أهل الحديث في ذلك: كالبغوي، وابن أبي الدنيا، ونحوهما: كالمصنفين من أهل الحديث في سائر المنقولات: هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم؛ لأنهم يسندون ما ينقلونه عن الثقات، أو يرسلونه عمن يكون مرسله يقارب الصحة، بخلاف الأخباريين، فإن كثيراً مما يسندونه عن كذاب أو مجهول. وأما ما يرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض، وهؤلاء لعمري ممن ينقل عن غيره مسندًا أو مرسلاً.

وأما أهل الأهواء ونحوهم: فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً، لا ثقة ولا معتمد، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق. وأعلم من فيهم لا يرجع فيما نقله إلى عمدة بل إلى سماعات عن الجاهلين والكذابين، وروايات عن أهل الإفك المبين»[(١)].

ح ـ من مناهجهم في التلقي الاعتماد على الظن وترك مصادر اليقين (القرآن والسنة):

إن كلام الله تعالى وما صح عن رسوله، صلى الله عليه وسلم، هو الحق الذي لا يأتيه الباطل، واليقين الذي لا يتطرق اليه الشك وما عداه ـ في العقيدة والشرع ـ فهو ظنون البشر وتوهماتهم وأهواؤهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس، فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها، كان غايته الظن

---

(١) الفتاوى ٢٧ / ٤٧٩.

الـذي لا يغني من الحق شيئـا، كاحتجـاجهم بقياس فاسـد أو نقل كاذب، أو خطاب ألقي إليهم اعتقـدوا أنـه من الله وكـان من إلقاء الشيطان. وهـذه الثـلاثـة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلاً، إمـا أن يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهانًا وأدلة قطعية، وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة، ومعان متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها، كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنـة، إنما يركب حججه من ألفاظ متشابهة، فإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبـين الحق من البـاطل، وهذه هي الحجج العقلية، وإن تمسـك المبطل بحجج سمعية، فإما أن يكون كذبًا على الرسول، أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل الباطل، فالمنع إما في الإسناد، وإما في المتن، ودلالته على ما ذكر، وهذه الحجة السمعية هذه حجة أهـل العلم الـظاهـر. وأمـا حجـة أهـل الـذوق والـوجد والمكاشفة والمخاطبة[١] فإن أهل الحق من هؤلاء لهم إلهامات صحيحة متطابقة كما في الصحيحين عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر**» وكان عمر يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنها تجلَّى لهم أمور صادقة»[٢].

---

(١) الشيخ رحمه الله لا يقصد هذه المعاني بمصطلحات الصوفية ومفاهيمهم المنحرفة، إنما يقصد ما يوافقها من المعاني الشرعية التي تتحقق بالفراسة والإلهام، والتحديث لبعض المؤمنين والصالحين. وهذه المعاني لا تخالف الشرع بل تطابقه، وليست مصدراً للتشريع وتقرير العقائد. كما بيّن الشيخ هنا.

(٢) الفتاوى ١٣/ ٦٧، ٦٨.

٢ ـ كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء (وهو إخلال بمنهج التلقي):

من أعظم أسباب الافتراق كثرة السؤال والاختلاف على الرسل بمخالفتهم بترك ما جاءوا به أو مخالفته، فقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو هريرة قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

فالرسل ـ عليهم السلام ـ يتلقون من الله ـ تعالى العليم الخبير ـ، وقد نهى الله تعالى عن السؤال عن أشياء سكت عنها الشرع فقال تعالى: ﴿**قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين**﴾[سورة المائدة، الآية: ١٠١].

ونهى الرسول، صلى الله عليه وسلم، عما سكت عنه الشرع؛ لأن ما سكت عنه إنما كان تركه لحكمة ورحمة بالعباد، قال، صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وعفى عن أشياء رحمة لكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (الفتح)، الحديث (٧٢٨٨) ١٣/ ٣٥١، ومسلم الحديث (١٣٣٧)، وانظر اقتضاء الصراط ١/ ١٤٠.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٣٦، وسبق تخريجه ص (   ) في الحلقة الأولى.

ومنه السؤال عما لا يعني:

عن معاذ، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «**لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها فإنكم إن لم تفعلوا لم ينفك المسلمون فيهم من إذ قال سدد أو وفق وإنكم إن عجلتم تشتت بكم السبل ههنا وههنا**»(١).

وقد حصل ما حذر منه النبي، صلى الله عليه وسلم، فإن أهل الأهواء تعمقوا وبحثوا أشياء لم ترد ولم تحدث، وتكلموا فيما لا قبل لهم به، فتشتت بهم السبل والفرق، ولم يسلم إلا أهل السنة حيث وقفوا حيث أرشدهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وروي ذلك موقوفًا عن معاذ بن جبل أنه قال: «أيها الناس لا تسألوا عن البلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا، وإنكم إن لم تسألوا لم تبتلوا فإنه لا ينفك أن يكون في المسلمين من إذا قال وفق أو قال سدد»(٢). وهذه قاعدة عظيمة، فإن المسلمين كانوا في عافية قبل أن تخوض طائفة منهم فيما لاعلم لها به، ولايزال أهل الاستقامة في عافية بحمد الله حين كفوا عما لا يعلمون، ووقفوا حيث أمرهم الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

وعن رفيع أبي كثير، قال: قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه

---

(١) الإبانة ١/٣٩٥، وأخرجه الدارمي ١/٤٩ من حديث وهب بن عمرو الجمحي مرفوعًا وأشار محقق الإبانة (رضي نعسان) إلى قول البوصيري: «رواه إسحاق بإسناد حسن» هامش الإبانة ١/٣٩٥.

(٢) الإبانة ١/١٩٥، ٦٩٦ وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣٠٠٨ انظر هامش الإبانة ١/٣٩٥.

ـ يومًا: «سلوني عما شئتم، فقال ابن الكوا: والسواد الذي في القمر؟ قال: قاتلك الله، ألا سألت عما ينفعك في دينك وآخرتك ذاك محو الليل، وفيه زيادة من طريق أخرى قال: أخبرنا عن قوله: (فالحاملات وقرً) قال: ثكلتك أمك سل تفقهًا ولا تسل تعنتًا، سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك وذكر الحديث»(١).

قال ابن بطة: وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سألوا عما لا ينفع السائل علمه ولا يضره جهله وربما كان الجواب أيضًا مما لا يضبطه السائل ولا يبلغه فهمه منعوه الجواب وربما زجروه وعنفوه»(٢).

وقال ابن بطة في الإبانة:

«اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السنّة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته» (٣).

قلت: يا أخي هذه موعظة بليغة فانتصح بها حفظك الله.

٣ ـ ترك تلقي العلم الشرعي عن العلماء، وترك مجالستهم:

من أعظم أسباب الخلل بمنهج تلقي الدين وتحصيل العلم الشرعي، الاستغناء في أخذ العلم عن القدوة (العلماء) وقلة

---

(١) الإبانة ١/٤١٨.
(٢) الإبانة ١/٤١٨.
(٣) الإبانة ١/٣٩٠.

مجالستهم، أو هجرهم وهجر مجالس العلم والعلماء، ونجد هذه السمة جلية في كثير من رؤوس البدع والأهواء كالجهم بن صفوان:

فقد روى اللالكائي أن خلف بن سليمان قال: «كان جهم على معبر ترمذ، وكان رجلاً كوفي الأصل فصيح اللسان، لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم، كان تكلم كلام المتكلمين، وكلمه السمنية»(١).

وكذلك كان الخوارج، والرافضة، والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام. لا يتلقون العلم عن أئمة الهدى، وإنما على بعضهم، أو لا يتفقهون أصلاً إلا على أصولهم الفاسدة. وإذا حضر أحدهم مجالس العلماء كان متعاليًا مغرورًا، أو متفرجًا شامتًا.

٤ ـ التتلمذ على الأصاغر والتلقي عنهم:

الأصل في العلم الشرعي أن يتلقى عن (الأكابر) العلماء العاملين، أهل السنة والاستقامة، ولا يجوز تلقيه على جهة التتلمذ والاقتداء عن أهل الأهواء والبدع، والأحداث الذين لم يكتمل فقههم، فقد أغنى الله تعالى عن التلقي عن هؤلاء حيث حفظ لنا كتابه وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وآثار سلفنا الصالح، وببقاء طائفة على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة وعلى رأسهم العلماء الأئمة العدول الثقات، وأن يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله.

والمتأمل لتاريخ الأهواء يجد أن من أعظم أسبابها وأسباب انتشارها التلقي عن أهل الأهواء والأخذ عنهم، أو التساهل في ذلك. يقول الشاطبي:

---

(١) الإبانة ١/ ٣٩٠.

«وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قد علمت [من][1] يهلك الناس، إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا».

قال ابن مسعود - رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا».

واختلف العلماء فيما أراد عمر بالصغار، فقال ابن المبارك هم أهل البدع، وهو موافق؛ لأن أهل البدع أصاغر في العلم، ولأجل ذلك صاروا أهل بدع.

وقال الباجي: يحتمل أن يكون الأصاغر من لا علم عنده. «قال»: وقد كان عمر يستشير الصغار، وكان القراءُ أهل مشاوره كهولاً وشبانًا. «قال»: ويحتمل أن يريد بالأصاغر من لا قدر له ولا حال، ولا يكون ذلك إلا بنبذ الدين والمروءة. فأما من التزمهما فلابد أن يسمو أمره، ويعظم قدره»[2].

٥ - تفقه العجم والرعاع والسفلة في الدين من غير أهلية:

ومن أسباب الوقوع في الأهواء والبدع والافتراق، تفقه من ليس بأهل في قدرته أو عقيدته: فيفهم الأمر على غير وجهه، أو يقصر فهمه، أو لا يحيط بنصوص الشرع وقواعد الاستدلال في المسألة **كالعجم**(*)، والرعاع، والسفلة والهمج، وضعاف المدارك، والعوام، والأعراب ونحوهم.

---

(١) لذا في المطبوعة ولعلها (متى) كما رجح المحقق في الهامش = الاعتصام ٢ / ١٧٤.

(٢) الاعتصام ٢ / ١٧٤.

(*) ليس المقصود ذم العجم لذاتهم فإن (أكرمكم عند الله أتقاكم)، إنما المقصود كونهم لا =

قال الشاطبي:

«وروي عن مكحول أنه قال: تفقه الرعاع فساد الدين والدنيا، وتفقه السفلة فساد الدين».

وقال الفريابي: كان سفيان الثوري إذا رأى هؤلاء النبط يكتبون العلم تغير وجهه، فقلت: يا أبا عبدالله! أراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك. قال: كان العلم في العرب وفي سادات الناس، وإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاء النبط والسفلة غُيِّر الدين.

وهـذه الآثـار أيضًـا إذا حملت على التـأويل المتقـدم اشتـدت واستقامت؛ لأن ظواهرها مشكلة، ولعلك إذا استقريت أهل البدع من المتكلمـين، أو أكثـرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم، ومن ليس له أصالة في اللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه، كما أن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها»[(١)].

ومن ذلك - في نظري - ما يحدث في عصرنا في الآونة الأخيرة من - توجه كل من هبَّ ودبَّ إلى الدراسات الشرعية، دون تمييز بين من لديه الأهلية ومن ليس لديه، والسبب طلب العلم للوظائف. وإن كان الإقبـال على طلب العلم الشرعي بحد ذاته أمر طيب ومحمود ويبشر بخير، لكن دخله ما ذكرته من تعلم الرعاع والسفلة أحيانًا.

= يفقهون العربية فلا يفقهون نصوص الشرع، ولأنهم يرثون عن أسلافهم من العقائد والعـوائد والسلوكيات والمفاهيم ما لا يوافق الشرع. أما من تفقه منهم وفهم العربية وتخلص من موروثات أسلافه التي تخالف الشرع فهو ممدوح بذلك.

(١) الاعتصام ٢/١٧٥.

٦ـ تلقي الدين والعلم على غير أصوله الشرعية:

ومن أسباب الوقوع في الأهواء الخلل في أسلوب أخذ العلم وطريقته، أعني بذلك التلقي الأول للمتعلم والناشىء، كمن يبدأ بعلوم الفلسفة أو الكلام أو الأهواء، أو التاريخ، أو الأدب، أو غرائب الحديث ونحوه، فإن ذلك ينطبع في ذهنه وقد لا يتخلص منه وهو لا يشعر أو يشعر.

لذا نجد كثيرين ممن رجعوا عن مذهب بدعي إلى مذهب السلف تبقى لديهم رواسب ما تلقوه أولاً كأبي حنيفة والأشعري وغيرهما.

هذا إن وفق صاحب هذا المسلك إلى التوبة والاهتداء للسنة، وهذا قليل جدًّا، فإن أكثر الذين اجتالتهم الشياطين وسلكوا طرق الغواية من هذا الصنف الذي يبدأ في تحصيله العلم بالعلوم الفاسدة، أو التي لا تنفع، أو العلوم التي لا تبني العقيدة وأصول الإيمان والتوحيد فإنها مزلة.

ويشبه هذا مناهج بعض الدعوات الإسلامية المعاصرة التي تخالف نهج السلف، أو فيها ما يخالف السلف في العقيدة أو المناهج، فإنها يتربى عليها الشباب الناشىء فإذا كبر وأخذ العلم الشرعي وعرف الأدلة، طوّعها لمفاهيمه وقناعاته التي تربى عليها. حيث تربى بمعزل عن العلماء والمشايخ القدوة، فتأمل رعاك الله.

لذلك ينبغي على كل مسلم أن يحرص على أخذ العلوم الشرعية على أصولها فيبدأ بالقرآن والسنة والفقه والعربية وعلى أهل العلم المعتبرين، ثم إذا تحصَّن فله أن يسلك ما يناسبه في التخصص، أو ما

هو أشمل إن كانت لديه المقدرة.

كما ينبغي بناء مناهج التعليم في بلاد المسلمين على تنشئة الناشين على البدء بتحصيل أوليات العلوم الشرعية وبالتدرج كما أسلفت، نسأل الله أن يوفق المسلمين لسلوك طريق الرشاد.

٧ـ التلقي عن أهل الكتاب ونحوهم:

من أسباب الأهواء والبدع ـ كذلك ـ الأخذ عن أهل الكتاب وأصحاب الملل الأخرى كالمجوس والصابئة والفلاسفة وغيرهم، سواء بقراءة كتبهم أو السماع عنهم أو نحو ذلك.

وقد حذر النبي، صلى الله عليه وسلم، أمته من الوقوع في ذلك، ومنه ما رواه جابر أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله، يتغير فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فنظر عمر إلى وجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسول الله، رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيًا وأدرك نبوتي لاتبعني**»[1].

---

(١) الدارمي ١/١١٥،١١٦، وأحمد في المسند ٣/٤٧١، ٣٧٨ مع اختلاف في الألفاظ. وقال في الفتح الرباني: «قال في التنقيح رجال أحمد رجال الحسن» وذكر أن ابن حبان رواه بإسناد صحيح عن جابر، الفتح الرباني ١/١٧٥، وانظر جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/٤٢».

٨ - اتباع زلة العالم والرجل القدوة:

قد يتعلق أصحاب الأهواء والبدع بزلة عالم، أو هفوة عابد، أو غفلة صالح، فيغويهم الشيطان بها، فيهلكون ويهلكونه، وقد حذر الصحابة والسلف الصالح من زلة العالم؛ لأنها تكون سببًا من أسباب وقوع الناس في الأهواء؛ لأن الناس يتلقون ما يصدر عن العالم والقدوة بالقبول والثقة ويدينون بذلك؛ لأن الله تعالى أرشد إلى الاقتداء بأهل العلم وسؤالهم، فإذا حدثت الزلة من العالم ضل بها من يقتدي به فتكون فتنة، لذلك جعل الله الكتاب والسنة هما الميزان، والذين لا يستطيعون الاستنباط عليهم أن يسألوا أهل العلم، وإذا خالف الواحد من أهل العلم غيره، وشذ عنهم فالعبرة بما عليه عامة أهل العلم والأئمة، والعالم القدوة قد يشذّ في مسألة ما لأنه ليس معصومًا، وكل ذلك يحكم به العلماء وهم بحمد الله لا تخلو منهم الأرض إلى أن تقوم الساعة.

إذن فالعالم قد تحدث منه الزلة، لكنها لا يمكن أن تخفى على أهل العلم، لذلك حذر السلف من زلة العالم.

عن زياد بن حدير قال: قال عمر - رضي الله عنه: «هل تعرف ما يهدم الإسلام، **قال:** قلت: لا. **قال:** يهدمه: زلة العالم، وجدال المنافق في القرآن، وحكم الأئمة المضلين»(١).

والعالم الذي يزل إذا كان من العلماء الراسخين، وأهل العلم المعتبرين، فإنه لا يترك علمه كله، ولا يمنع ذلك من الاقتداء به، إلا

---

(١) الدارمي ١/٧١.

في زلته فإنه لا يُتّبع ولا يقتدى به فيما زل فيه. لكنه يعذر لاجتهاده فلا يجوز سبه ولا لمزه ولا تبديعه لمجرد زلة عارضه ليست عن هوى ولا بدعة يصر عليها.

«قال عبدالله بن المبارك: رب رجل في الإسلام له قدم حسن وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يُقتدى به في هفوته وزلته»[١].

فالتعلق بزلات العلماء فتنة وخلل في منهج التلقي عند أهل الأهواء والافتراق والبدع، لبس عليهم الشيطان واستزلهم بها، فصاروا يلبِّسون على الناس بذلك.

---

(١) الاستقامة ١/ ٢١٩.

ثالثا: الخلل في منهج الاستدلال

والمقصود بمنهج الاستدلال: الطريقة، والأسلوب، والقواعد التي يسلكونها في الاستدلال على عقائدهم وأهوائهم ومقالاتهم وبدعهم وآرائهم.

ويشمل:

١ ـ تعويلهم على العقول في العقيدة والغيبيات.

٢ ـ تحريف الكلم عن مواضعه.

٣ ـ التأويل وما يلحق به.

٤ ـ اتباع المتشابه.

٥ ـ قياس الغائب على الشاهد.

٦ ـ التعلق بالشاذ من المقولات والآراء.

١ ـ الاعتماد على العقول والرأي في الاستدلال في مسائل الغيبيات:

فأهل الأهواء حين قلت بضاعتهم من العلم الشرعي وفهم السنن واستهانوا بنصوص الشرع، وعدلوا عن اتباع نهج السلف لجأوا إلى الاعتماد على الرأي.

لذلك حذر السلف عن هذا النهج من وقت مبكر، وحذروا من أصحاب الرأي في الدين.

عن عمر قال: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم السنن أن يحفظوها، وتفلَّتت منهم أن يعوها، وسئلوا فقالوا في

الدين برأيهم» فذكر أنهم أعداء السنن[١].

وعن ابن عمر قال: «إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله وقالوا لم؟ ولا ينبغي أن يقال لله لم؟ لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[٢] وسيأتي تفصيل هذا الجانب الخطير في حلقة مناهج أهل الأهواء وسماتهم في كتاب مستقل إن شاء الله.

٢ـ تحريف الأدلة عن مواضعها (تحريف الكلم):

فأهل الأهواء يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبترون الأدلة حسبما يوافق هواهم، ويأخذون بالدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده، يقول الشاطبي:

«ومنها: تحريف الأدلة عن مواضعها. بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهمًا بأن المناطين واحد وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله. ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحًا إلا مع اشتباه يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعًا. وبيان ذلك أن الديل الشرعي إذا اقتضى أمرًا في الجملة مما يتعلق بالعبادات ـ مثلاً ـ فأتى به المكلف في الجملة أيضًا، كذكر الله والدعاء والنوافل والمستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة. كان الدليل

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٢/ ١٣٤، ١٣٥ وانظر إعلام الموقعين ١/ ٦٥، ٤٦، ودرء التعارض ٥/ ٢١٩.

(٢) صون المنطق ٥١، ٥٢.

عاضدًا لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإذا أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مقارنًا لعبادة مخصوصة، والتزام ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان، مقصود شرعًا من غير أن يدل الدليل عليه. كان الدليل بمعزل عن ذلك المعني المستدل عليه. فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات ولم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن تفهم التشريع»[1] ثم ذكر أن هذا بدعة محدثة بناء على هذه القاعدة[2].

وقد ذم الله تعالى هذه الطائفة؛ لأن ذلك من صفة اليهود، ولا شك أن هؤلاء الذين يحرفون الكلم من هذه الأمة ـ وهم أهل الأهواء ـ فيهم شبه من اليهود كما أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بقوله: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع»**[3]. وفسرهم بأنهم اليهود والنصارى وفارس والروم، وقد ذم الله تعالى هذا الصنف فقال تعالى: **﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾**[سورة النساء، الآية: ٤٦]، وقال

(١) الاعتصام ١/٢٤٩.

(٢) انظر ١/٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم انظر تخريجه ص (٤٨) الحلقة الأولى.

تعالى: ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾[سورة المائدة، الآية: ٤٣].

ومن ذلك: أن أهل الأهواء والبدع يأخذون الدليل الذي لهم ويتركون الذي عليهم، في عموم الأدلة، أو في الدليل الواحد، وكذلك في الاستدلال والاستنباط كما قال عبدالرحمن بن مهدي: «أهل يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[١]

٣ ـ التأويل:

التأويل أخطر سلاح استعمله أهل الأهواء في تقرير أصولهم الفاسدة، وأهم ما يعتمدون عليه في الاستدلال على مقولاتهم الفاسدة، وهو الأسلوب الذي يلجأون إليه في مصادمة النصوص وردها ردًا صريحًا. أورد دلالاتها وأحكامها ومعانيها.

والتأويل هو الباب الذي ولجت به جميع فرق الباطل لهدم أصول الإسلام.

فالمعطلة الجهمية أنكرت الأسماء والصفات تحت شعار التأويل.

والمعتزلة أنكرت الصفات تحت شعار التأويل.

وكلهم أنكروا الرؤية وكثير من السمعيات بالتأويل.

والمتكلمون من الأشاعرة والماتريدية عطلوا صفات الله تعالى وأفعاله بالتأويل.

والرافضة والباطنية وغلاة الصوفية والفلاسفة هدموا قواعد الدين وأركانه بالتأويل.

---

(١) انظر منهاج السنة ٣٧/٧.

والتأويل بالمعنى الذي قصدوه خلاف ما عليه السلف، بل رده السلف ردًا قويًا وحرَّموه في العقيدة؛ لأن نصوص العقيدة توقيفية غيبية، مبناها عل التسليم لله تعالى ولرسوله، صلى الله عليه وسلم، (للقرآن والسنة) ولا مجال للعقول فيها؛ لأن التأويل صرف لمعاني النصوص الغيبية عن حقائقها المفهومة لدى المخاطبين - مع نفي إدراك الكيفية - إلى معان متوهمة، قال شيخ الإسلام:

«وأما التأويل بالمعنى الثالث، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوع، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة، بل ولا التابعين، بل ولا الأئمة الأربعة، ولا كان المتكلم بهذا الاصطلاح معروفًا في القرون الثلاثة، بل ولا علمت أحدًا منهم خص لفظ التأويل بهذا، ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعًا في عرف كثير من المتأخرين فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعًا، والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وإنما الخطأ في فهم السامع»(١).

وقال: «وكان الإمام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلَّغَهُم الصحابة معاني القرآن كما بلغوهم ألفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا، لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون أن هذا

(١) الفتاوى ١٧/ ٤٠١.

التأويل الذي يعلمه الراسخون، وهم مبطلون في ذلك ولاسيما تأويلات القرامطة والباطنية والملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم»(١).

٤ - الاستدلال بالمتشابه من القرآن والسنة ولا يردونه للمحكم:

قال تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾.

فكما أن مصادر التلقي عند أهل الأهواء اتباع المتشابه، فكذلك بالتبع يكون من منهجهم في الاستدلال الأخذ بالمتشابه والخوض فيه ولا يردونه إلى المحكم، ويتجلى ذلك في منهجهم بالاستدلال بآيات الصفات، وآيات الصفات كلها محكمة، إنما المتشابه كيفياتها، وهي غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه.

ومثل آيات القدر، **فهم أولاً**: جعلوا آيات الصفات من المتشابه.

وثانيًا: خاضوا فيها بمجرد العقول والمقاييس العقلية، التي تقيس الغائب على الشاهد، وتمثل الله بخلقه.

وثالثًا: خاضوا في القدر وهو سر الله في خلقه.

ورابعًا: لم يردوا ما تشابه عندهم إلى المحكم، فكان منهجهم في الاستدلال مركب من أخطاء تراكمت حين جعلوا المحكم متشابهًا، وحكَّموا عقولهم في الغيب وخاضوا فيما نهى الله عنه، وقاسوا الغائب بالشاهد، ولم يردوا النصوص إلى بعضها؛ لذلك حذر الرسول صلى الله

---

(١) الفتاوى ١٧/٤١٥.

عليه وسلم منهم.

عن عائشة قالت: تلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾[سورة آل عمران، الآية:٧]. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[٣].

فهذا تحذير صريح منه، صلى الله عليه وسلم، عن أهل الأهواء والذين في قلوبهم زيغ وأهل التأويل وهم أهل الكلام؛ لأنهم هم: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [سورة آل عمران، الآية:٧]. والمتشابه ليس نصوص الصفات بذاتها ولا حقائقها، إنما المتشابه الكيفيات والغيب وأسرار القدر وحكمه.

أخرج مسلم بسنده أن عبدالله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٢].

قال البغوي: قال عمر بن الخطاب: «إنه سيأتي أناس يأخذونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[٣].

وقال الزهري: «لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أي لا تجعل شيئًا نظيرًا لهما فتدعهما لقول قائل»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير - باب (٤٠)، الفتح ٨/٢٠٩.
(٢) صحيح مسلم ١/١١ تابع حديث (٥).
(٣) شرح السنة ١/٢٠٢.
(٤) شرح السنة ١/٢٠٢.

وعن حماد بن زيد، قال: «سمعت أيوب يقول: ما أعلم أحدًا من أهل الأهواء إلا يخاصم بالمتشابه»[(١)].

وعن سعيد بن جبير في قول الله، عز وجل: ﴿وأخر متشابهات﴾ قال: «أما المتشابهات فهن أي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرأون آيات من القرآن ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى»[(٢)].

وقال الشاطبي في معرض كلامه عن مآخذ أهل البدع وطرائفهم في الاستدلال:

«(ومنها) انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات التي للعقول فيها مواقف وطلب الأخذ بها تأويلاً - كما أخبر تعالى في كتابه - إشارة إلى النصارى في قولهم بالثالوثي - بقوله: **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾**، وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه»[(٣)].

ومن اتباع المتشابه عدم مراعاة قواعد الاستدلال وأصوله وترتيب الأدلة ونحو ذلك، كالنظر في المطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمفصَّل، وكرد نصوص الوعيد إلى نصوص الوعد، ورد المتشابه إلى المحكم والتعارض بين الأدلة ووجوه الجمع، ونحو ذلك، قال الشاطبي:

---

(١) الإبانة ٢/٦٠٨.

(٢) الشريعة للآجري ٢٧.

(٣) الاعتصام ١/٢٣٩.

«من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، وبالعمومات من غير تأمل ـ هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكس، بأن يكون النص مقيدًا فيطلق، أو خاصًا فيهم بالرأي من غير دليل سواه، فإن هذا المسلك رميٌ في عماية، واتباع للهوى في الدليل، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد. فإذا قيد صار واضحًا. كما أن إطلاق المقيد رأي في ذلك المقيد معارض للنص من غير دليل»[١].

ومن أوضح أمثله الإخلال بمنهج الاستدلال واتباع المتشابه استدلال النفاة والمؤولة للصفات بقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[سورة الشورى، الآية: ١١] وإعراضهم عن قوله تعالى: ﴿**وهو السميع البصير**﴾[سورة الشورى، الآية: ١١]، وقوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وقوله: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ الآيات.

سبب خوضهم في المتشابه:

أما سبب خوضهم في المتشابه ـ خاصة في الصفات ـ فذلك أنهم عوَّلوا في اعتقاد أسماء الله وصفاته وقدره وسائر أمور الغيب على عقولهم، وعقولهم عاجزة عن إدراك تفصيلات صفات الله تعالى وعظمته، بل عقولهم عجزت، عن إدراك حقيقة الغيبيات من المخلوقات. بل لم تحط بعالم الشهادة. فلما حكّموا عقولهم قصرت وعجزت فوقفوا عند نهاية مدارك العقول والأوهام والظنون والخيالات.. الفاسدة وجعلوها عقائد لهم. وكل منهم له مستوى من التفكير والمعقول توهم أنه الحق والغاية.

---

(١) الاعتصام ١/٢٤٥، ٢٤٦.

ولم يسلِّموا للوحي تسليم الإذعان والتصديق المطلق والرضا. فوقعوا في اتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأهل الأهواء يتبعون أهواءهم أولاً، ثم يطلبون المتشابه ثانيًا، ويخوضون به ليجعلوه دليلاً شاهدًا على عقائدهم الفاسدة ثالثًا. كما قال الشاطبي:

«وكذلك ذكر في أهل الزيغ أنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة. فهم يطلبون به أهواءهم لحصول الفتنة. فليس في نظرهم إذًا في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه. بل نظر من حكم بالهوى ثم أتى بالدليل كالشاهد له، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء حيث وقفوا في المتشابه فلم يحكموا فيه ولا عليه سوى التسليم. وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحح هواه السابق»(١).

ومنه احتجاج أهل الأهواء باختلاف العلماء:

ويتفرع عن اتباع المتشابه من النصوص احتجاج أهل الأهواء باختلاف العلماء واتخاذ ذلك ذريعة للإعراض عن الحق والسنة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما جهة الرأي والتنازع، فإن تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات، بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الأهواء من الرافضة وغيرهم، وقالوا: إن دين الله واحد، والحق لا يكون في جهتين: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً**﴾[سورة النساء، آية: ٨٢].

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٢١.

فهـذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة، ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور، وتارة يسمـونهم الحشوية، وتارة يسمونهم العامة، ثم صار أهل الأهواء لما جعلوا هذا مانعًـا من كون الحق فيما عليه أهـل السنة والجماعة، كل ينتحل سبيلاً من سبل الشيطان.

والرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له، وأصل من وضـع ذلـك لهم زنادقة، مثل رئيسهم الأول عبدالله بن سبأ، الذي ابتدع لهم الرفض، ووضع لهم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نص على علي بالخلافة، وأنه ظلم وضيع حقه، وقال: إنه كان معصومًا، وغرض الزنادقة بذلك التوسل إلى هدم الإسلام، ولهذا كان الرفض باب الزندقة والإلحاد، فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أو زاد عليهم ـ من القرامطة والنصيرية والإسماعيلية والحاكمية وغيرهم ـ إنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول، وشرائع الإسلام، من باب التشيع والرفض، والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل، وتطعن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة، ويعللون ذلك بما ذكر من الاختـلاف ونحوه. وربما جعل ذلك بعض أرباب الملل من أسباب الطعن فيها، وفي أهلها، فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الأمور الصغار ساعيًا في هدم قواعد الإسلام الكبار»[1].

٥ ـ قياس الغائب (عالم الغيب) على الشاهد (عالم الشهادة):

ذلـك أن أهــل الأهـواء من سماتهم قلة البضـاعـة في العلم الشرعي، وقلة الفقه في الدين والجهل بمنهج السلف، وحتى من يعلم

(١) الفتاوى ٢٢/٣٦٦، ٣٦٧.

منهم ذلك يحجبه هواه عن فقهه، لذلك اعتمدوا على آرائهم وعقولهم وجعلوها هي المحكَّمة في النصوص دون مراعاة أصول الاستدلال والفهم، ولم يفرقوا بين ما يمكن أن يكون للرأي فيه مجال كأدلة الأحكام، وبين مالا يمكن أن تدركه الآراء والعقول وهو الصفات والقدر وسائر الغيبيات، فإذا عَرَضَتْ لهم نصوصها حكّموا فيها عقولهم التي ليس لديها من العلم إلا معرفة شيء قليل مما في عالم الشهادة وما تدركه الحواس. فقاسوا الغيبيات التي لا تدركها العقول بالمحسوسات التي تتناولها المدارك والحواس؛ لذلك فهم مضطربون، فكل طائفة منهم تستعمل هذا القياس فيما تثبته وتنكره فيما تنفيه، ويرد على كل طائفة منازعها فيما استعمله من ذلك[1].

والقياس في العقيدة والغيبيات رجم بالغيب، لذلك قال السلف بأن القياس مقابل النص طريقة إبليس. عن ابن سيرين قال: «أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس»[2]. وعن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [سورة ص، آية: ٧٦]. قال: «قاس إبليس وهو أول من قاس»[3].

ولهذا قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس، وقال: يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل والقياس، وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار،

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/٣٥٨ (رشيد الألمعي).
(٢) الدارمي ١/٦٥
(٣) الدارمي ١/٦٥.

فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في تأويل من الفلاسفة والباطنية والملاحدة[1].

فأهل الكلام حينما عطلوا الصفات أو أولوها إنما أتوا من باب القياس، فقاسوا صفات الله بصفات المخلوقين، ثم زعموا أن ذلك - أي التشبيه - ظاهر النصوص فلجأوا للتأويل والتعطيل بسبب هذه الأوهام القياسية.

٦ - التعلق بالأقوال أو العقائد أو الآراء أو المواقف الشاذة:

في مناهج أهل الأهواء في الاستدلال الخروج عن المنهج العام للسلف أو الذي عليه سائرهم، والتعلق ببعض الأقوال والأفعال والمواقف الشاذة أو القليلة، أو التي هي خلاف قول الجمهور، والتي قد تصدر من بعض العلماء أو أحدهم، وهذا فيه فتنة لبعض من يقع في مخالفة ما عليه جمهور السنة والأئمة، كنفي عائشة للرؤية(*)، وقول أبي حنيفة بالإرجاء، وكتعلق البعض بموقف ابن الزبير أو ابن الأشعث وسعيد بن جبير في إجازة الخروج على الأئمة، وزعمهم أن ذلك من مناهج السلف.

فكل صاحب هوى قد يجد من شاذ الآراء، أو مشتبهها ما يُفتن به ويلبس على الناس فيه.

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(*) عائشة رضي الله عنها إنما نفت الرؤية بالعين، وهو قول جمهور أهل العلم، لكن جاء كلامها مطلقًا فتمسك به نفاة الرؤية المعطلة.

رابعًا: الجدل والخصومات والمراء في الدين

ويشمـــل:

١ ـ الجدال والخصومات أعظم وسيلة لنشر الأهواء.

٢ ـ النهي عن ذلك في القرآن والسنة ومنهج السلف.

٣ ـ من سمات أهل الأهواء المراء والخصومات والجدال في الدين.

١ ـ الجدال والخصومات والمراء في الدين أعظم وسيلة لنشر الأهواء:

من أعـظم أسبـاب رواج الأهـواء والبدع: المناظرات والجدل والتخاصم فيها علنًا أمام الأحداث والعامة والولاة، والجهلة وضعاف الإيمان، فضـلًا عن أهل الزيغ والنفاق والزندقة فإنما يتغذون وتروج مذاهبهم بالجدال والخصومات. ولذلك لم يعرف الجدل والخصومات في الدين إلا حينما ظهرت الفرق ـ الخوارج والشيعة والقدرية وأهل الكلام ـ لأن أهل الحق لا يمارون ولا يتخاصمون ولا يخاصمون في الدين، وإن اختلفـوا فيما يسـوغ فيه الخـلاف من الاجتهاديات فإنهم لا يلجأون للخصومات والمراء وإذا وصل الخلاف إلى المراء كفوا.

٢ ـ النهي عن ذلك في القرآن والسنة وآثار السلف:

ولذلك اشتد النهي في القرآن والسنة عن ذلك، وبين الله تعالى أن ذلك من مناهج المعاندين الضالين، أهل الأهواء وخصوم الأنبياء، ونهي عنه إلا بشروط، فقال تعالى: **﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد، كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا**

به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾[سورة غافر، الآية: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً﴾[سورة الكهف، الآية: ٥٦]، وقال: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾[سورة الحج، الآية: ٨]، وقال: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٢١]، وقال: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾[سورة غافر، الآية: ٣٥]، وقال: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾[سورة غافر، الآية: ٥٦]، وقال: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾[سورة غافر، الآية: ٦٩]، وكذلك نهى النبيّ، صلى الله عليه وسلم، عن المراء والجدال والخصومات في الدين قال، صلى الله عليه وسلم: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»(١)

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتُوا الجدل» ثم تلا

---

(١) البخاري (٤٥٢٣)، ومسلم (٢٦٦٨).

هذه الآية: ﴿بل هم قوم خصمون﴾[سورة الزخرف، الآية:٥٨] [١]، وأعظمه المراء في القرآن؛ لأنه كلام الله، لذلك فإن المراء فيه نوع من الكفر.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مراء في القرآن كفر»[٢].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ﴿هو الذين أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[سورة آل عمران، الآية:٧]، قال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله، عز وجل، فاحذروهم»[٣].

تحذير السلف من الخصومات وأهلها:

وكذلك الصحابة والسلف الصالح تجنبوا المراء والخصومات والجدال في الدين، وحَذَّروا منه وأهله:

عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/٤٤٨، وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه في المقدمة (٤٨). والآية من سورة الزخرف رقم [٥٨].

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك ٢/٢٢٣، والإبانة ٢/٦١١، ومسند أحمد ٢/٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨، وصححها أحمد شاكر (٧٨٣٥)، (٩٤٧٤)، (١٠١٤٨)، (١٠٤٥٦).

(٣) البخاري (٤٥٤٧) الفتح ومسلم (٢٦٦٥).

(٤) اللالكائي ١/١٢٣، والدارمي ١٢١، والشريعة للآجري ١/٤٨، ٥٢.

وقال عمر بن عبدالعزيز: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر الشك ـ أو قال ـ يكثر التحول»(١).

وقال الخليل بن أحمد: «ما كان جدل إلا أتى بعده جدل يبطله»(٢).

وقال الحكم بن عتيبة: «ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟! قال: الخصومات»(٣).

٣ ـ من سمات أهل الأهواء: كثرة الجدال والخصومات:

كما أن تجنب الجدال والمراء والخصومات من سمات السلف وهديهم، فأهل الأهواء هم أهل هذا الداء:

عن حماد بن زيد أنه قال: «جلس عمرو بن عبيد وشبيب بن شيبة ليلة يتخاصمان إلى طلوع الفجر. قال: فلما صلوا جعل عمرو يقول: هيه أبا معمر! هيه أبا معمر! فإذا رأيتم أحدًا شأنه أبدًا الجدال في المسائل مع كل أحد من أهل العلم، ثم لا يرجع ولا يرعوي، فاعلموا أنه زائغ القلب متبع للمتشابه فاحذروه»(٤).

---

(١) اللالكائي ١/١٢٨.

(٢) اللالكائي ١/١٢٨.

(٣) اللالكائي ١/١٢٨.

(٤) الاعتصام ٢/٢٣٧.

خامسا : العجمة وضعف اللسان العربي

من أسباب الافتراق والأهواء ضعف اللسان العربي بعد شيوع العجمة واللحن ودخول الأمم الأعجمية بالإسلام، وقلة العلم[١].

فالجهل باللغة يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه، وإلى الفهم الخاطىء للنصوص.

كما أن الرطانة والكلام بلغات الأمم يؤدي إلى انتشار عقائدها وأفكارها وعوائدها مما كان له أسوأ الأثر على الأمة.

وقد أدرك الصحابة والسلف الأولون خطورة اللحن والعجمة وحذروا منهما.

فعن عمر - رضي الله عنه - يرفعه: (إنما هلكت بنو إسرائيل حين حدث فيهم المولدون أتباع سبايا الأمم)[٢].

وعن عطاء بن أبي رباح قال مر بعلي بن أبي طالب رجل له سمت فقال: أَمِنْ أهل خراسان أنت؟ قال: لا. قال: من أهل فارس أنت؟ قال: لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا من أهل الأرض، قال: فإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (لا يزال الدين معتدلاً صالحًا ما لم يسلم نبط العراق، فإذا أسلمت نبط العراق أوغلوا

---

(١) انظر صون المنطق ٢٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه الدارقطني مرفوعًا من حديث عمر، في إسناده الكلبي وهو ضعيف، وأخرجه البزار بإسناد آخر قال ابن القطان فيه: «هذا إسناد حسن». انظر سنن الدارقطني - الوصايا - ٤/١٤٦ مع الهامش (التعليق المغني)، وقد روي موقوفًا عن بعض السلف.

في الدين وقالوا فيه بغير علم فعند ذلك يهدم الإسلام وينثلم) [١].

وعن عروة بن الزبير قال: «مازال أمر بني إسرائيل معتدلاً ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم» [٢].

وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له: «أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بها منطقه؟ قال: نعم. فليتعلمها، فإن الرجل يقرأ بالآية فيعياه توجيهًا فيهلك» وعنه أيضًا قال: «أهلكتكم العجمة. تتأولون القرآن على غير تأويله» [٣].

وقال الشاطبي:

«ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك، كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿**ريح فيها صر**﴾ فقال: هو هذا الصرصر، يعني صرار الليل، وعن النظام أنه كان يقول: إذا آلى المرءُ بغير اسم الله لم يكن موليًا. قال: لأن الإيلاء مشتق من اسم الله، وقال بعضهم في قول الله تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾: لكثرة أكله من الشجرة يذهبون إلى قول العرب غوى الفصيل إذا أكثر من اللبن حتى بشم، ولا يقال فيه

---

(١) البدع والنهي عنها ٧٢.

(٢) الدارمي ١/ ٥٠.

(٣) الاعتصام ١/ ٢٣٩.

غوى. وإنما غوى من الغي. وفي قوله سبحانه: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾: أي ألقينا فيها»(١).

قلت: المتأمل لأحوال أكثر المثقفين والمفكرين والمتعالمين اليوم يجد أنهم على ما وصف الشاطبي؛ يتخرصون على الكلام في القرآن والسنة، وهم لا يفقهون العربية، أو لا يفقهون مناهج الاستدلال وآثار السلف فينسبون آراءهم إلى دين الله وشرعه، ويخالفون الراسخين في العلم. فيقولون: رأي الإسلام كذا والقول الحق كذا. والدين كذا.. من غير علم ولا بصيرة، وقد ابتلي المسلمون بأعداد كثيرة من هذا الصنف، وهم يدخلون في أهل الأهواء من حيث لا يشعرون. والله أعلم.

(١) الاعتصام ١/٢٣٧.

سادسا : الجهل والظلم والإعراض عن دين الله

الجهل والظلم من أعظم أسباب الضلال؛ لأنهما يحولان بين صاحبهما وبين الحق. **قال شيخ الإسلام**:

«**أحدها**» جهل كثير من الناس - أو أكثرهم - بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله، والذين سنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأمته، والذي أمرهم باتباعه.

«**الثاني**» ظلم كثير من الأمة - أو أكثرهم - بعضهم لبعض، وبغيهم عليهم: تارة ينهيهم عما لم ينه الله عنه، وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه، وتارة ترك ما أوجب من حقوقهم، وصلتهم، لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثر عنه، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخرًا عند الله ورسوله، ويتركون من يكون مقدمًا عند الله ورسوله لذلك»[1].

ويقول الشاطبي:

«وذلك أن الإحداث في الشريعة (إنما) يقع إما من جهة الجهل، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق، وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة، وقد مر في ذلك ما يؤخذ منه شواهد المسألة، إلا أن الجهات الثلاث قد تنفرد وقد تجتمع، فإذا اجتمعت فتارة تجتمع منها اثنتان، وتارة تجتمع الثلاث، فأما جهة الجهل فتارة تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد، وتارة

---

(١) الفتاوى ٢٢/٣٥٦، ٣٥٧.

تتعلق بالمقاصد، وأما جهة تحسين الظن فتارة يشرك في التشريع مع الشرع، وتارة يقدم عليه، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد، وأما جهة اتباع الهوى فمن شأنه أن يغلب الفهم حتى يغلب صاحبه الأدلة أو يستند إلى غير دليل، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد، فالجميع أربعة أنواع: وهي الجهل بأدوات الفهم، والجهل بالمقاصد، وتحسين الظن بالعقل، واتباع الهوى. فلنتكلم على كل واحدة منها وبالله التوفيق»[1].

هذا ومن أخطر أنواع الجهل والإعراض والظلم التي سببت ظهور الأهواء في الأمة ما يلي:

١ - الجهل بمذهب السلف:

قال ابن القيم، في أهل الكلام الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف: «فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلالة بتصويب طريقة الخلف. وسبب ذلك، اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا التعطيل وانتفاء الصفات في نفس الأمر، ورأوا أنه لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم، وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له إلى ما لم يوضع له، ولا دل عليه بأنواع من الإعجازات والتكلفات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى، كما سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله.

---

(١) الاعتصام ٢/٢٩٣.

وصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والجهل بالسمع (فلا سمع ولا عقل)، فإن النفي، والتعطيل إنما اعتمدوا فيه على شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة فحرفوا بها النصوص السمعية عن مواضعها، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته، واعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف هم الفضلاء العلماء الذين حازوا قصب السبق واستولوا على الغاية وظفروا من الغنيمة بما فات السابقين والأولين»[١].

وقال شيخ الإسلام:

«وقد رأيت من أتباع الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من يقول أقوالهم: ويكفّر من خالفها، وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها، كما أنهم كثيرًا ما ينكرون أقوالاً ويكفّرون من يقولها، وتكون منصوصة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب، ولأن شبه الجهمية النفاة أثرت في قلوب كثير من الناس حتى صار الحق الذي جاء به الرسول ـ وهو المطابق للعقول ـ لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه»[٢].

وقال:

«وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله، فالشهرستاني صنف «الملل

---

(١) الصواعق المرسلة ١/١٦٤، ١٦٥.

(٢) درء التعارض ٢/٣٠٨، ٣٠٩.

والنحل» وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره، والقاضي أبو بكر وأبو المعالي والقاضي أبو يعلى وابن الزاغوني وأبو الحسين البصري ومحمد بن الهيثم ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنفين، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأمة، ويختار واحدًا منها، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم»(١). **فإذا كان هؤلاء العلماء الأجلاء قد يجهل الواحد منهم بعض دقائق المسائل عن أهل السنة فكيف بمن يترك مذاهب السلف عمدًا، فأنى يهتدي للحق.**

٢ - الجهل بالوحي وبالعقل السليم:

من أسباب ضلال أهل الأهواء جهلهم بالمنقول (الوحي) وكثير من المعقول (العقل السليم) لذلك زعموا التعارض بين الوحي والعقل. قال ابن القيم: «إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين، جهل بالوحي وجهل بالعقل. أما الجهل بالوحي فإن المعارض لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به، ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول، ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكره لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي، فضلًا عن المعنى الصحيح الذي دل عليه الوحي، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة البتة، بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، والله تعالى هو الحق، وكلامه حق،

---

(١) درء التعارض ٢/٣٠٧.

ورسوله حق، ودينه حق، ووحيه حق، وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته دليل، بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه.

وأما الجهل بالعقل فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح للوحي أبدًا، ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية»(١).

٣ ـ ضعف العلم وقلة الفقه في الدين:

ومن أسباب انتشار الأهواء أو اعتناق كثير من الناس لها ضعف العلم الشرعي، وقلة الفقه في الدين.

قال الشاطبي:

إنه قد تقدم أن البدع لا تقع من راسخ في العلم، وإنما تقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها، والشهادة بأن فلانًا راسخ في العلم وفلانًا غير راسخ، في غاية الصعوبة، فإن كل من خالف وانحاز إلى فرقة يزعم أنه الراسخ، وغير قاصر النظر، فإن فرض على ذلك المطلب علامة وقع النزاع إما في العلاقة، وإما في مناطها.

ومثال ذلك: أن علامة الخروج من الجماعة الفرقة المنبه عليها بقوله تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا**﴾ الفرقة ـ بشهادة الجميع ـ وإضافية فكل طائفة تزعم أنها هي الجماعة ومن سواها مفارق للجماعة»(٢).

---

(١) الصواعق ٤/١٢٠٨.

(٢) الاعتصام ٢/٢٩٠.

٤ ـ الجهل بدلالات النصوص وأسباب النزول ونحو ذلك

ومن الجهل: الجهل بدلالات النصوص، ووجوه الاستدلال، ومنهج الاستدلال، والجهل بأسباب النزول ونحوه.

فخَرَّجَ أبو عبيد في فضائل القرآن، وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ـ زاد سعيد وكتابها واحد ـ قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما أنزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، وقال «سعيد»: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. «قال»: فزجره عمر وانتهره عليّ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قتله، فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه.

ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعًا: كيف رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار جعلوها على المؤمنين. فسر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ويقرنون معها: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك، فهذه الأمة مشركون

فيخرجون فيقتلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية. فهذا معنى الرأي الذي نبه عليه ابن عباس، وهو الناشىء عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن.

وقال نافع: إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم، وينكحون النساء في عددهن، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل ولها زوج. فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم»[1]

٥ ـ الجهل بمقاصد الشريعة:

والجهل بمقاصد الشريعة، من سمات أهل الأهواء، ومن أعظم أسباب وقوعهم في الآراء الفاسدة والأحكام الشاذة، والمواقف المخالفة للسنة.

قال الشاطبي:

هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم. ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصفهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يعنيّ، والله أعلم، أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم، وما تقدم أيضًا من

---

(١) الاعتصام ٢/١٨٣، ١٨٤.

قوله، عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا» إلى آخره[١].

٦ ـ كثرة القراء الجهلة:

وهـذه السمة بدأت مبكرة في تاريخ ظهور الأهواء، فلو تأملنا نشأة الفرق الأولى (الخوارج والشيعة) وجدنا أن طائفة كبيرة منهم كانوا من قراء الكوفة بعد أن رحل منهم عبدالله بن مسعود إلى المدينة وأقل منهم من قراء البصرة وغيرها.

ويلاحظ أن القراء الذين لم يتفقهوا في الدين ولم يطلبوا العلم على أهله أسرع انجـذابًـا إلى التشـدد في الدين. فصارت منهم الخوارج وصارت منهم الشيعة فتأمل!

وقراء البصرة: لم يسارعوا في الفتنة كمسارعة قراء الكوفة لماذا؟ لأن فيهم وقت الفتنة أمثال الصحابيين: أبي موسى وأبي برزة الأسلمي كانا ينهيان عن ذلك، وهناك أسباب أخرى الله أعلم بها.

ومن أصنـاف القـراء الجهلة في زماننا كثير من المثقفين وصغار طلاب العلم الذين يقل فقههم في الدين، حيث يوجد بينهم التعالم والغرور ويظنون أنهم من أهل الاجتهاد ويتصدرون الناس ويحجبونهم عن العلماء ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً وهم من جهلة القراء ويخشى على الأمة من فتنتهم.

٧ ـ تهافت الرعاع والهمج والدهماء على الأهواء:

كذلك نجد من أسباب انتشار الأهواء ورواجها تهافت الجهلة

---

(١) الاعتصام ٢/١٨٢.

إليهـا من العامة، وأشباههم فأهل الأهواء إنما يكثر سوادهم السفلة والهمج والرعاع من الناس من الجهلة والدهماء، **قال البربهاري**:

«واعلم أنه لم تجيء زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له»[1] والزنادقة ورؤوس الفرق وأهل الابتداع لو لم يجدوا من ينخدع بهم، أو يستهوونه أو يلبســون عليه ما كان لأهوائهم هذا الذيوع والانتشار لكنه الجهل المورد للمهالك نسأل الله السلامة.

٨ ـ ومن الجهل اعتقاد صحة قضية فاسدة ثم ترتيب اللوازم الباطلة عليها:

ومن نماذج الجهل، أن يعتقد الجاهل صحة قضية فاسدة لجهله، ولا يرجـع إلى أهل العلم لظنه أنه عالم أو مجتهد، فيرتب على قناعته واعتقـاده الفاسد، لوازم فاسدة، وهكذا تتجارى بهم الأهواء وتتابع حتى تحجبهم عن الحق والهدى.

قال شيخ الإسلام:

«والإنســان قد يعتقـد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة، فيحتاج أن يعتقد لوازمها، فتكثر اعتقاداته الفاسدة. ومن هذا الباب دخلت القـرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف المسلمين، فإن هؤلاء قالوا للمعتزلة: ألستم قد وافقتمونا على نفي الصفات حذرًا من التشبيه والتجسيم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: وهذا المحذور يلزمكم في إثبات أسماء الله تعالى له، فإذا قلتم: هو حيٌّ عليم قدير، كان في هذا

(١) شرح السنة للبربهاري ٤٤.

تشبيه له بغيره ممّن هو حيّ عليم قدير.

وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له؛ لأنه لا يعرف مسمًّى بهذه الأسماء إلا جسم، كما لا يُعرف موصوفًا بهذه الصفات إلا جسم. فأخذوا ينفون أسماء الله الحسنى، ويقولون: ليس بموجودٍ ولا حيّ ولا عليم ولا قدير»(١).

«وهؤلاء القوم من أسباب ظهور كلامهم وضلال كثير من الناس به أنهم يحتجون على طوائف أهل القبلة بما يشاركونهم فيه من المقدمات الضعيفة المبتدعة، فلا يزالون يُلزمون صاحب ذلك القول بلوازم قوله، حتى يخرجوه من الإسلام كما تُخرج الشعرة من العجين، فإن الحسنة تدعو إلى الحسنة، والسيئة تدعو إلى السيئة كما قال، صلى الله عليه وسلم، في الحديث المتفق عليه: «عليكم بالصدق» الحديث (٢).

٩ ـ ومنه ظن أهل الأهواء أنهم على هدى فيتمادون في الضلالة:

ومن أسباب تمادي أهل الأهواء في هواهم وبدعهم أن الشيطان يزين لهم أعمالهم، فيظنون أنهم على هدى، فيتمادون في الضلالة كما قال تعالى: ﴿**أفمن كان علىٰ بينةٍ من ربه كمن زُين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**﴾ [سورة محمد، الآية: ١٤]، ﴿**أفمن زُين له سوء عمله فرءاه حسناً فإن الله يُضلُّ من يشاءُ ويهدي من يشاءُ فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ إن الله عليمٌ بما يصنعون**﴾[سورة فاطر، الآية: ٨]، ﴿**وإذا**

---

(١) الصفدية ١/٨٨، ٨٩.

(٢) الصفدية ١/٨٧، ٨٨. والحديث الذي أشار إليه الشيخ: في البخاري ولفظه: «إن الصدق يهدي...» إلخ، مختصراً رقم (٦٠٩٤) وأخرجه مسلم بلفظ: «عليكم بالصدق» كما أورده الشيخ هنا برقم (٢٦٠٧).

مس الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلمّا كشفنا عنه ضرَّه مر كأن لم يدعنا إلى ضرٍ مسه كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾[سورة يونس، الآية: ١٢].

وقال الشاطبي:

«فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة السنة توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره، فمضى عليه فعاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة، كالمار بالليل على الجادة وليس له دليل يهديه، يوشك أن يضل عنها فيقع في متابعة، وإن كان بزعمه يتحرى قصدها، فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله. وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره؛ لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع»[1].

١٠ ـ ومنه الإعراض عن السنن والحسنات:

ومن أسباب الأهواء الإعراض عن السنن، ومن مظاهر هذا: ترك الفضائل والحسنات والقعود عن فعل الخيرات، وترك ما أمر الله به، والإعراض عما شرعه الله ورضيه لشبهات عارضة، أو فهم خاطىء، أو تقصير في اتباع الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأئمة الهدى.

«وهكذا إذا تأملت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات، وأنهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح، وإنما أتوا من جهة ما نفوه، والإثبات فعل حسنة، النفي ترك

(١) الاعتصام ١/ ١٣٤.

سيئة، فعلم أن ترك الحسنات أضر من فعل السيئات وهو أصله. مثال **ذلك**: أن الوعيديه من الخوارج وغيرهم فيما يعظمونه من أمر المعاصي والنهي عنها واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا، لكن إنما أتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان ذا كبيرة. وكذلك المرجئة فيما أثبتوه من إيمان أهل الذنوب والرحمة لهم أحسنوا، لكن إنما أصل إساءتهم من جهة ما نفوه من دخول الأعمال في الإيمان وعقوبات أهل الكبائر، فالأولون بالغوا في النهي عن المنكر، وقصروا في الأمر بالمعروف، وهؤلاء قصروا في النهي عن المنكر وفي الأمر بكثير من المعروف، وكذلك القدرية هم في تعظيم المعاصي وذم فاعلها وتنزيه الله تعالى عن الظلم وفعل القبيح محسنون، وإنما أساؤا في نفيهم مشيئة الله الشاملة وقدرته الكاملة، وعلمه القديم أيضًا. وكذلك الجهمية؛ فإن ضلالهم إنما هو التعطيل وجحد ما جاءت به الرسل عن الله - عز وجل - من أسمائه وصفاته»(١).

١١ - ومن الإعراض والجهل: عدم التصديق بالحق:

ومن أسباب الضلالة الناتجة عن الإعراض والجهل: عدم التصديق بالحق، وينتج عن ذلك عدم الإذعان لما جاء عن الله تعالى وعن رسوله.

قال شيخ الإسلام:

«أن ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأملته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق؛ لا من التصديق بالباطل، فما من

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١١٠، ١١١.

مسألة تنازع الناس فيها في الغالب إلا وتجد ما أثبته الفريقان صحيحًا، وإنما تجد الضلال وقع من جهة النفي والتكذيب، فقال ذلك إن الكفار لم يضلوا من جهة ما أثبتوه من وجود الحق، وإنما أتوا من جهة ما نفوه من كتابه وسنة رسوله وغير ذلك. . »[١].

فالتكذيب بالحق ورده من أعظم أسباب الغواية في بني آدم عمومًا وفي فرق هذه الأمة كذلك، ما من فرقة إلا ونجدها كذبت بشيء مما جاء عن الله تعالى ورسوله، حتى الفرق التي غلت في الدين وتشددت قد تكذب بالنصوص الواردة في التيسير والعدل والرحمة والوعد الذي يعارض أصولها، وإن لم ترد لفظه ردت معناه ودلالته والعمل به وذلكم نوع من الإعراض والتكذيب.

١٢ ـ ومن الجهل التعالم:

والتعالم هو ادعاء الجاهل أنه عالم، وغروره بما لديه مما يظنه صار به عالمًا.

حيث يظن ذلك الجاهل أنه عالم وليس كذلك، فيضل ويتبع الهوى ويضل غيره. **قال الشاطبي**:

«إن كل راسخ لا يبتدع أبدًا، وإنما يقع الابتداع، فيمن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه، حسبما دل عليه الحديث ويأتي تقريره بحول الله، فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء، وإذا كان كذلك فاجتهاد من اجتهد منهي عنه إذ لم يستكمل شروط الاجتهاد، فهو على أصل العمومية، ولما كان العامي حرامًا عليه

---

(١) الفتاوى ٢٠/١٠٥.

النـظر في الأدلة والاستنباط، كان المخضرم الذي بقي عليه كثير من الجهلات مثله في تحريم الاستنباط والنظر المعمول به، فإذا أقدم على محرم عليه كان آثمًا بإطلاق»[1].

١٣ ـ ومن الجهل والظلم قلة إنصاف المتنازعين بعضهم لبعض:

ومن أسبـاب الأهـواء والافتراق ترك الإنصاف بين المتنازعين، وادعاء كل طائفة أن الحق معها وحدها من دون الآخرين.

ذلك أن كل واحدة من الطائفتين المختلفتين لا تنصف الأخرى ولا تعترف بما معها من الحق[2]، وهذا إنما دافعه الجهل أو الهوى أو هما.

ومتى تخلى أحد المتنازعين أو كلهم عن إنصاف خصمه وقع في الهوى والتعصب بالباطل فيؤدي ذلك إلى الافتراق، وهذه الخصلة (قلة الإنصاف بين المتنازعين) كثيرة جدًا في مسائل الخلاف قديمًا وحديثًا.

١٤ ـ ومن الجهل والإعراض: ضعف الإيمان والتقوى:

وضعف الإيمان ضرب من الجهل يؤدي إلى الإعراض عن دين الله تعالى، ثم إلى التنازع والأهواء والافتراق، ومن ضعف إيمانه وقلت تقواه لله لم يوفق للسنة قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم**﴾[سورة يونس، الآية: ٩]، وقال تعالى: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٤].

وعن ابن وهب قال: «سمعت مالكـًا يقول: قال رجل: لقد دخلت في هذه الأديان كلها فلم أر شيئًا مستقيمًا، فقال رجل من أهل المـدينة من المتكلمين: فأنا أخبركم لم ذلك؟ لأنك لا تتقي الله، فلو

---

(١) الاعتصام ١/١٤٥.

(٢) انظر اقتضاء الصراط ١/١٣٩.

كنت تتقي الله جعل الله لك من أمرك مخرجًا»[١].

١٥ ـ ومنه أن ترك الأمر والنهي أو الإخلال بهما يؤديان للظلم والجهل والافتراق:

ومن أسباب الافتراق والأهواء كذلك ترك الأمر بما أمر الله به وترك النهي عما نهى الله عنه، أو التقصير في ذلك فيضعف الدين في قلوب الناس، فيتركون الشرع ويعرضون عنه ولا يجدون من يعظهم ويردهم للحق ويبين لهم، ويرتكبون المنهيات والبدع، ولا يجدون من ينكر عليهم ويردعهم فيتمادون في ذلك حتى تستحكم فيهم الأهواء.

قال شيخ الإسلام:

«وإذا كان الكفر والفسوق سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديمًا وحديثًا؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من آخر وآخر، ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك ومن ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن: هذا أصلها؛ يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية؛ وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا، وذلك أن أسباب الضلال والغي: البدع في الدين

---

(١) الإبانة ١/٤٠٧.

والفجور في الدنيا وهي مشتركة»[١].

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومداهنة أهل البدع والمنكرات من أعظم أسباب انتشار الأهواء والبدع والظلم والبغي وكل ذلك يؤدي إلى التنازع والافتراق.

١٦ ـ ومنه التفريط والإفراط (الزيادة في الدين أو النقص منه):

فالتفريط هو التساهل في الدين، والإفراط هو التشدد في الدين، وكلاهما منهي عنه شرعًا وموقع في الأهواء، والبدع، فالتساهل إعراض، والتشدد ابتداع.

قال شيخ الإسلام

«وإنما جماع الشرِّ تفريط في حق أو تعدي إلى باطل، وهو تقصير في السنة أو دخول في البدعة، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل.

ولهذا عامة ما يؤتى الناس من هذين الوجهين: فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنة والجماعة يحصل من بعضهم، كما ذكرت، تفريط في معرفة النصوص أو فهم معناها أو القيام بما تستحقه من الجهة ودفع معارض، فهذا عجز وتفريط في الحق، وقد يحصل منهم دخول في باطل: إما في بدعة ابتدعها أهل البدع وافقوهم عليها واحتاجوا إلى إثبات لوازمها، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنة كما أصاب الناس في مسألة كلام الله وغير ذلك من صفاته»[٢].

---

(١) الفتاوى ٢٨/١٤٢، ١٤٣.

(٢) الصفدية ١/٢٩٣.

وقال ابن الوزير:

«فإن قيل من أين جاء الاختلاف الشديد؟ فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما» وذكرانهما «الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسوله ـ عليه السلام ـ من مهمات الدين».

«والنقص منه بنفي بعض ما ذكره الله تعالى ورسوله من ذلك بالتأويل الباطل».

«ولهذين الأمرين الباطلين أصلان: عقلي وسمعي. أما العقلي: أنه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول مما أعرض عنه السلف نحو ما عرض للبراهمه الذين حكموا برد النبوات ـ من إيجاب أمور سكت عنها الشارع ونهى عن بعضها واستقباح أمور استحسنها الشارع (لكنهم خالفوا البراهمة بأن صدقوا الشرع بالجملة) وصدقوا هذه القوادح في تفاصيل الشرع وراموا الجمع بينهما، فوقعوا لذلك في أشياء وهمية.. ولزمهم ما التزموا من أن رسل الله ـ عليهم السلام ـ قصروا في البيان عمدًا امتحانًا للمكلفين، وتعريضًا للعلماء الراسخين في تأويل كلام رب العالمين»[1].

ويدخل في الإفراط والتفريط المبالغة في الأفراح والأتراح:

ومن أبرز أسباب شيوع البدع إحداث العوائد والمبتدعات في المناسبات، كالأفراح أو الأحزان، فمثلاً: **بالأول** تكون المزامير واللهو والغناء والطرب والتصفيق، ومنها ظهرت بدع الصوفية وبعض عوائد العامة والدهماء.

---

(١) مختصر عن إيثار الحق على الخلق ٨٥.

والثاني: النياحة والمآتم والبكاء والصراخ والعويل ونحو ذلك، ومنها ظهرت بدع الرافضة وبعض عوائد العامة.

ومن الأمرين كذلك ابتدعت الرافضة والصوفية والمقابرية أكثر بدعها.

فهي حينًا تتعبد بالموالد احتفالاً وطربًا كمولد النبي، صلى الله عليه وسلم، وسائر الموالد الأخرى أيًّا كانت.

وحينًا آخر تتعبد بالمآتم حزنًا وفرقًا وجزعًا كمأتم الحسين. وبين الحالين أضاعوا التوحيد والسنة. وكل ذلك مما نهى عنه الإسلام أشد النهي، فقد ذكر النبي، صلى الله عليه وسلم، أن النياحة من خصال الجاهلية وتوعد النائحة بالوعيد الشديد، فقال (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهم..) وذكر منها (والنياحة)[1] ثم ذكر الوعيد. وكذلك الموالد تدخل في باب الأعياد، وقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن غير عيدي الفطر والأضحى[2].

١٧ ـ ومنه الحسد وكتمان العلم وعدم قبوله:

من أكبر مظاهر الجهل وأسباب الهوى عند أهل الأهواء أمور، منها:

١ ـ الحسد لمن هداه الله بعلم نافع أو عمل صالح، وهذا من أخلاق اليهود: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٧]، وهو البخل بالعلم والبخل بالمال[3].

---

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم رقم (٩٣٥).

(٢) انظر اقتضاء الصراط ١/٤٢٦ ومابعدها.

(٣) انظر اقتضاء الصراط ١/٧١، ٧٢.

٢ - كتمان ما أنزل الله من الكتاب والعلم، إما بخلًا أو اعتياضًا بالدنيا، أو خوف إقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٩].

٣ - عدم قبول الحق الذي لا تقول به طائفتهم: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ [سورة البقرة، الآية: ٩١].

وذلك كله منشؤه من الجهل والهوى والإعراض عن الحق.

١٨ - ومنه الغفلة عن ذكر الله تعالى وشكره وعبادته:

من أسباب الأهواء الغفلة عن ذكر الله تعالى وهي نوع من الإعراض، قال شيخ الإسلام:

«فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعًا أن ذلك يضره ضررًا راجحًا انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن الله تعالى جعل في النفس حبًّا لما ينفعها وبغضاً لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضررًا راجحًا، بل متى فعلته كان لضعف العقل»[١].

---

(١) الفتاوى ١٤/٢٨٩.

١٩ ـ ومنه ذهاب العلماء العالمين بالسنة العاملين بها:

إن من أعظم أسباب الضلال اتخاذ الرؤساء الجهال والصدور عن قولهم في الدين، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، إتخذ الناس رؤوساً جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(١)].

ومما يؤدي إلى الجهل والتعالم: اتخاذ الرؤساء الجهال، والأحداث والرجوع إليهم في أمور الدين ومسائل العلم، ويتضح ذلك في:

أ ـ **كثرة القراءة** و (المثقفين) لكن على غير أصول وبغير مناهج العلماء بعيدًا عن هديهم وسمتهم، ومن غير فقه في الدين.

ب ـ **طلب العلم والتحصيل للدنيا**، أو لمجرد العلم والثقافة، فلا يكون الفقه في الدين هو القصد، أو يكون هو المقصد الآخر.

وقد توقع الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذه الأمور بفراسته وبما تلقى من النبي، صلى الله عليه وسلم، فكان مما تلقى من هدي النبوة قوله:

«كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الكبير، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنة (!). قيل: متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، والتمست الدنيا بعلم الآخرة، وتفقه لغير الدين»[(٢)] وروى ابن وضاح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب (٣٤) فتح الباري ١/١٩٤، ومسلم الحديث رقم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه اللالكائي ١/٩١، ٩٢، والدارمي ١/٦٤، وابن وضاح ٣٤، ٨٩.

بسنده عن مسروق قال: قال عبدالله (يعني ابن مسعود): «ليس عام إلا والذي بعده شر منه. لا أقول عام أمطر عن عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير، خير من أمير لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم»[(١)].

٢٠ ـ ومنه الإعراض عن فهم كتاب الله كما فهم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى:

فالإعـراض عن فهم كتـاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، كما فهمها السلف مشاقة للرسول، صلى الله عليه وسلم، اتباع لغير سبيل المؤمنين، وهو في طريق الهلكة والوعيد كما قال تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيرا﴾** [سورة النساء، الآية: ١١٥].

«وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف، الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى، كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما ينقاضه، وهذا هو من أعظم المحادة لله ولرسوله، ولكن على وجـه النفـاق والخـداع»[(٢)] فالإعـراض عن آثـار السلف، وتفسيرهم للنصـوص الشرعية وتقـريراتهم للدين، اتبـاع لغـير سبيل المؤمنين، وإعراض عن الهدى، واتباع للأهواء، ومفارقة للحق وأهله، وهو سمة عامة لسائر أهل الافتراق والبدع والأهواء.

٢١ ـ ومن الجهل والإعراض الابتداع والتعلق بالمحدثات:

الابتداع والتعلق بالمحدثات مما تميل إليه نفوس كثير من البشر،

---

(١) البدع والنهي عنها ٣٣.

(٢) درء التعارض ٥/ ٣٨٣.

فإذا صاحب ذلك الجهل بالشرع وضعف الإنكار للمحدثات في الأمة تنامت البدع والمحدثات وتدرجت. وتأصلت في النفوس حتى تنكر السنن ويبدع أهلها، وينقلب الحق باطلاً والباطل حقًا، وقد وصل الابتداع ببعض الفرق إلى الشركيات والبدع المغلظة. لأن أهل الابتداع لم يكتفوا في ابتداعهم بالمحدثات الخفيفة، بل تدرجوا منها إلى ماهو أشد، ولبَّس عليهم الشيطان، وتجارت بهم الأهواء إلى البدع الشركية، ووضعوا لأنفسهم أصولاً لم ترد بالشرع.

قال البربهاري:

«واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور، ولم يجاوزوها بشيء، ولم يولدوا كلامًا مما لم يجيء فيه أثر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه لم تكن بدعة»[١].

٢٢ ـ ومن مظاهر الجهل التناجي في الدين:

والتناجي في الدين من سمات أهل الأهواء، ومن أسباب شيوع أهوائهم، فإن الإسرار بها يمنع ظهور إنكارها من قبل أهل العلم والحسبة، فلذلك حذر السلف من التناجي في الدين.

عن الأوزاعي قال: قال عمر بن عبدالعزيز: إذا رأيت قومًا يتناجون بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة»[٢]، وكل عمل في الدين يُسرُّ به أصحابه من دون بقية المؤمنين، وبمعزل عن أهل العلم والفقه في الدين، فإنه ينتهى بأصحابه إلى الأهواء من حيث لا

(١) شرح السنة للبربهاري ٤٦.
(٢) تلبيس إبليس ٨٩، والدارمي ١/ ٩١.

يشعرون، والتاريخ شاهد بذلك، فإن البدع إنما ابتدأت همسًا وأحيانًا بقصد الغيرة على الدين، والنصح للإسلام ثم يؤول إلى العزلة عن الجماعة وتنافر القلوب، وغرس الغلّ على المخالفين. . وهكذا يحدث الافتراق. كما يحصل في عصرنا هذا لدى بعض المنتسبين إلى الحركات الإسلامية المعاصرة هداهم الله وبصرنا وإياهم بالحق.

سابعا: التشبه بالكفار واتباع السنن

من أسباب وقوع الافتراق والبدع والأهواء في الأمة، تشبه طوائف منها بغير المسلمين. وقد أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بخبره الصدق في الحديث الصحيح أن هذه الأمة ستتبع طريق الأمم الأخرى فيما ضلت به من أنواع الضلالات بما في ذلك الوقوع في الشرك وذرائعه، كما جاء في حديث ذات الأنواط، حينما رأى بعض المسلمين في غزوة حنين سدرة للمشركين، يعلقون بها أسلحتهم ويعفكون عندها، (كما يفعل المبتدعة اليوم عند كثير من المشاهد والأحجار والأشجار والغيران والقبور)، فطلبوا من النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**الله أكبر، إنها السنن - قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾** [سورة الأعراف، الآية:١٣٨] **لتركبن سنن من كان قبلكم**»[١]. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، أيضًا: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع... الحديث**»[٢].

فاتباع السنن باب من أبواب الأهواء والافتراق في هذه الأمة، حين تشبهت طوائف من هذه الأمة بالأمم الأخرى، في الوقوع بالبدع والمحدثات والعقائد والفلسفات والمذاهب.

---

(١) سنن الترمذي ٤/٤٧٥، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ومسند أحمد ٥/٢١٨.

(٢) أخرجاه في الصحيحين، انظر ص ٤٨ من الحلقة الأولى (المقدمات).

قال الآجــري:

«من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعامّ منهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، أو على سنن كسرى وقيصر أو على سنن الجاهلية»[1].

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة في كتابه «**اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**» فليراجع فإنه مفيد جدًّا.

ومن أظهر الانحرافات التي وقعت فيها الفرق وأهل الأهواء مما فيه تشبه بالأمم الأخرى:

١ ـ الغلو في الصالحين:

كما غلت اليهـود والنصارى، قال تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السمـوات ومـا في الأرض وكفى بالله وكيـلاً**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١]، وقـال: ﴿**اتخـذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركـون**﴾[سورة التوبة، الآية: ٣١]، وقـد وقعت الصـوفية والرافضة والمقابرية في هذا الضلال.

٢ ـ تحريف كلام الله تعالى كما فعلت اليهود:

قال تعـالى: ﴿**من الـذين هادوا يحرفـون الكلم عن مواضعه**

(١) الشريعة ٢٠.

ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٦]، وقال: ﴿وإنَّ منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٨]، وقد وقعت طوائف من هذه الأمة بالتحريف: تحريف التأويل وتحريف التنزيل كما فعلت الجهمية المعتزلة وأهل الكلام.

٣ ـ جحد الحق الذي عند الخصوم والتنافر والتعادي:

كما فعلت اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣] وهكذا نجد سائر طوائف أهل الأهواء يجحدون الحق الذي مع غيرهم إذا لم يوافق مذاهبهم وتقوم مناهجهم على عداوة المخالف لهم والتنافر والتعادي من خصومهم.

٤ ـ الخوض في القدر:

وأخطره إنكار العلم السابق، والقول بأن الإنسان خالق أفعاله، وهو قول المجوس الثنوية القائلين بخالقين. وقد قالت به القدرية من هذه الأمة، والمعتزلة ومن سار على نهجهم. وسائر أهل الأهواء يخوضون في القدر بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير، ولذلك نجد أكثر الفرق تدور بين الجبر والإرجاء، وبين النفي بلا إثبات، أو الإثبات بلا نفي.

وكلهم يخوضون في القدر وآياته ونصوصه، ويرتكبون ما حذرهم الشرع منه في ذلك وكل مقولة ظهرت في فرق هذه الأمة نجد لها أصلاً عن الأمم الضالة السابقة.

٥ - التعطيل:

وهو إنكار الأسماء والصفات، أو الصفات فقط، ومنه التأويل.

وهو مذهب الفلاسفة، والصابئة وكثير من أهل الكتاب والدهرية. وقد وقعت بذلك الجهمية والمعتزلة المعطلة وأهل الكلام المؤولة من الأشاعرة والماتريدية ومثلهم الكلابية ونحوهم.

فما من أصل ضلت به هذه الفرق في الأسماء والصفات وسائر مسائل العقيدة إلا ويكون له صلة بأصول الأمم الضالة الماضية.

ثامنا: اتبـاع الهوى والظن

من أسباب ظهور الفرق والبدع اتباع هوى النفوس والإصرار عليه، واتباع الظن. قال شيخ الإسلام فيما أوجب أنواع الفساد بين الأمة:

«**الثالث**» اتباع الظن وما تهوى الأنفس، حتى يصير كثير منهم مدينًا باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة: كالخوارج، والروافض، والمعتزلة، ونحوهم. وقد قال تعالى في كتابه: ﴿**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾[سورة ص، الآية:٢٦]، وقال في كتابه: ﴿**لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**﴾[سورة المائدة، الآية:٧٧][(١)].

وقال الشاطبي:

«فكذلك صاحب الهوى إذا ضل قلبه، وأُشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه. واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وسواهما، فإنهم كانوا حيث لُقُوا مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلى تماديًا على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه ﴿**ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا**﴾.

---

(١) الفتاوى ٢٢/٣٥٧.

وحاصل ما عولوا عليه تحكيم العقول المجردة، فشركوها مع الشرع في التحسين والتقبيح، ثم قصروا أفعال الله على ما ظهر لهم ووجهوا عليها أحكام العقل فقالوا: يجب على الله كذا ولا يجوز أن يفعل كذا فجعلوه محكومًا عليه كسائر المكلفين. ومنهم من لم يبلغ هذا المقدار، بل استحسن شيئًا يفعله واستقبح آخر وألحقها بالمشروعات، ولكن الجميع بقوا على تحكيم العقول، ولو وقفوا هناك لكانت الداهية على عظمتها أيسر، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسوله، باعتراضهم على كتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، وادعائهم عليهما من التناقض والاختلاف ومنافاة العقول وفساد النظم ما هم له أهل»[1].

والمتأمل لحال أهل الأهواء والافتراق والبدع يجد أن من أعظم أسباب إصرارهم على بدعهم: الهوى وما تميل إليه نفوسهم، هذا من جانب.

ومن جانب آخر نجد أن منهجهم يقوم على اتباع الظن، لأن اليقين في أمور الغيب والعقيدة ومصالح العباد في ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله، صلى الله عليه وسلم، وما عارض الوحي فهو محض ظنون وأوهام ووساوس. وإن كان الشيطان قد يزين لأهل الضلال أهواءهم وظنونهم حتى تبدو لهم وكأنها يقينيات. لكن هذا توهُّم لا يصمد أمام حقائق الوحي وبراهينه لمن وفقه الله وهداه.

لذا يجب على المسلم دائمًا أن يسأل الله الثبات والتوفيق والهداية ومن الدعاء المأثور (يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك).

---

(١) الاعتصام ٢/٢٦٨.

تاسعا : مخالطة أهل الأهـواء

مخالـطة أهـل الأهـواء ومجـالستهم ومعـاشرتهم سبب لانتقـال العدوى منهم، فإن المرء من جليسه والإنسان مدني بالطبع يتأثر بمن حولـه، لذلـك حذر السلف من مخالـطة أهـل الأهـواء ومجـالستهم ومعاشرتهم فضلاً عن التلقي عنهم.

ومهما بلغ الإنسان من الاستقلالية بزعمه والاعتداد بنفسه والثقة بعقيدة، فإنه لابد أن يتأثر بمن يخالطهم، خاصة أهل الأهواء؛ لأنهم يزينون ما هم عليه ويزينها الشيطان، فتبدو للإنسان غريبة جذابة، فهـذا المـأمـون وهو من هو في اعتداده بنفسه تأثر بالجهمية، قال أبو الفرج بن الجوزي: «خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ثم قوى عزمه وامتحن الناس»(١).

وذكر الذهبي بسنده عن ابن أكثم قال: «قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق»(٢)، وما ذاك إلا لأنه خالط المعتزلة الجهمية فناظرهم ونادمهم حتى أجربوه، فتأمل عافانا الله وإياك واعتبر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٧.

عاشرا: الفتن

في الفتن تضيع معالم الحق على عامة الناس، فيرتع فيها أهل الأهواء وتروج ضلالاتهم، وتنفلت الأمور ويكثر الهرج والمرج والفتن التي تؤدي إلى المنازعات والافتراق على أربعة أنواع:

١ ـ **منازعة ولاة الأمور والخروج عليهم.** كما يفعل غالب أهل الأهواء.

٢ ـ **الخروج على المسلمين** وقتالهم واستحلال دمائهم تدينا كما يفعل الخوارج.

٣ ـ **البغي والظلم** كما يحصل من قطاع الطرق، وأهل الفساد والغدر كالباطنية، أو المتقاتلين في سبيل السلطان والعصبيات والحزبيات والشهوات ونحو ذلك.

والمتأمل لتاريخ المسلمين يجد أن الفتن هي أول وأعظم أسباب الافتراق وظهور الفرق والأهواء والبدع، وأول ذلك وأنكاه على الأمة الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما أعقبها من قتله وتنازع المسلمين في صِفّين والجمل ثم خروج الخوارج والشيعة، وفتنة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وابن الأشعث، وتحريض الرافضة لأهل البيت على الخروج حتى خرج منهم عدد كبير على أئمة المسلمين وجماعتهم، وظهور الباطنية وفسادها في الأرض، وقتال العصبيات والسلاطين، وغير ذلك مما أدى إلى رواج الأهواء وانتشارها. وغالب الفتن في التاريخ من هذا النوع.

٤ ـ الافتتان بالدنيا والتنافس فيها:

لقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من الدنيا وحذرهم منها فقال، صلى الله عليه وسلم، «**أبشروا وأملوا فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»(١) وكان فتنة الدنيا من أول الفتن وقوعًا في الإسلام قال شيخ الإسلام:

«فلما كان في آخر خلافة عثمان زاد التغيير والتوسع في الدنيا وحدثت أنواع من الأعمال لم تكن على عهد عمر، فحصل بين بعض القلوب تنافر حتى قتل عثمان، فصاروا في فتنة عظيمة، وقد قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ أي هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط، بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»(٢).

وقال: «من أسباب الفتنة والأهواء في نشأتها الأولى في آخر عهد عثمان التنافس في الدنيا من ذلك الجيل الناشىء من الأمم الحديثة العهد والأعراب ونحوهم ممن حرضوا مساكين المهاجرين وفرقوهم»(٣).

---

(١) أخرجاه في الصحيحين = البخاري في كتاب الجزية الحديث (٣١٥٨) فتح الباري ٢٥٨/٦ ومسلم الحديث رقم (٢٩٦١) ٢٢٧٣/٤.

(٢) الفتاوى ١٥٨/١٤.

(٣) اقتضاء الصراط ١١٤/١، ١١٥.

ومن الافتتان بالدنيا (حب الشهرة):

عن أبي إدريس الخولاني قال: «فاتني معاذ بن جبل فأخبرني يزيد بن عميرة أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: الله حكم قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير فيوشك أن الرجل يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ثم يقول: ما هم بمتبعيّ حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، واتقوا زيغة الحكيم فإن الشيطان يلقى على في الحكيم كلمة الضلالة، قال: اجتنبوا من كلام الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلت هذا، ولا ينأى بك ذلك عنه فإنه لعله يراجع وتلقّ الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا»(١).

قلت: هذه نصيحة عظيمة وموعظة بليغة **فافقه ما فيها حفظك الله**.

---

(١) الإبانة ١/٣٠٨.

الحادي عشر: الكذب ووضع الأحاديث

الجهل واتباع الهوى يدفعان أهل الزيغ والضلال إلى الكذب على الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعلى غيره من باب أولى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وعلموا كذب أهل الجهل والضلال فيما قد يأثرونه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بكذب من يزعم من الرافضة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نص على علي بالخلافة نصًّا قطعيًّا جليًّا، وزَعْم آخرين أنه نصّ على العباس.

وعلموا أكاذيب الرافضة والناصبة - التي يأثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة، كما يرويها المكذبون الطرقية: مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنتر والبطال - حيث علموا مجموع مغازي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن القتال فيها كان في تسعة مغازٍ فقط، ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين ألفًا.

ومثل «الفضائل» المروية ليزيد بن معاوية ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من الكراوية في الإرجاء ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الأسبوع، وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة، والأحاديث التي يروونها في استماع النبي، صلى الله عليه وسلم، هو وأصحابه، وتواجده، وسقوط البردة عن ردائه، وتمزيقه الثوب، وأخذ جبريل لبعضه، وصعوده به إلى السماء، وقتال أهل

الصفة مع الكفار، واستماعهم لمناجاته ليلة الإسراء، والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة، وصبيحة مزدلفة، ورؤية النبي، صلى الله عليه وسلم، له في الأرض بعين رأسه، وأمثال هذه الأحاديث المكذوبة التي يطول وصفها، فإن المكذوب من ذلك لا يحصيه أحد إلا الله تعالى؛ لأن الكذب يحدث شيئًا فشيئًا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي لا يحدث بعده، وإنما يكون موجودًا في زمنه، صلى الله عليه وسلم، وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول، وورثة الأنبياء»[١].

وقال الشاطبي في طريقة أهل البدع في الاستدلال:

«فمنها: اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها: كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وإكرام الديك الأبيض، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبي، صلى الله عليه وسلم، تواجد واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه وما أشبه ذلك. فإن أمثال هذه الأحاديث - على ما هو معلوم - جاهل ومخطىء في نقل العلم، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به في طريقة العلم، ولا طريقة السلوك»[٢].

---

(١) الفتاوى ٢٢/ ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٢٤، ٢٢٥.

الثاني عشر: استهواء العقليات والفلسفات (علم الكلام)

الميل للكلام نزعة ولوثه تصيب عقول طائفة من الناس وتستهويهم حتى تصبح أشبه بالهوس العقلي بخاصة الأذكياء منهم إذا لم يتفقهوا في الدين ولم يلتزموا نهج أئمة الدين وذلك مصداق قول النبي، صلى الله عليه وسلم، «**تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**»[١]، فصاحب الكلام يستهويه علم الكلام بمتاهاته ومحاراته، فهو حين يتمادى فيه، يزينه له الشيطان فيشعر أنه يمارس هواية ويستلذ بها ويستغرق فيها كما يستغرق الرسام والفنان ولاعب الشطرنج والمغني ونحوهم من أصحاب الهوايات التافهة، وهو يحسب أنه يمارس أجل الأعمال، كما قال تعالى عنهم: ﴿**قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالاً**﴾ والمتأمل لكتب علماء الكلام يدرك ما هم عليه من غرور وتعالم وعجب وتعالٍ كالجبابرة، إلا أنهم في عالم الأوهام والأحلام، وغيرهم من أصحاب الشهوات الدنيوية في عالم الواقع. وأهل الكلام يخوضون في الله وفي آيات الله، ويسيئون إلى أنفسهم وإلى الخلق، وأهل الشهوات الدنيوية لا يضرون إلا أنفسهم وبعض الخلق. وفي كل شر. ولكن حنانيك بعض الشر أهون من بعض.

فالكلام والفلسفات أشبه بالمخدرات، فالمدمن عليها إذا لم يرجع يهلك، ويبدو له أنه أكمل الناس، وينظر لغيره بكبرياء وتعالٍ، نسأل الله السلامة.

---

(١) مر الحديث ص (٥٠) الحلقة الأولى (المقدمات).

الثالث عشر: الغلو والتعصب

ويشمل:

١ ـ الغلو في الأشخاص (التشيع، وتقديس الأئمة والأولياء).

٢ ـ الغلو في الدين (التشدد والتكفير).

٣ ـ العصبيات (التعصب للمذاهب والقبائل والشعوب).

٤ ـ التقليد بغير بصيرة.

من أبرز مظاهر الغلو في هذه الأمة وأخطرها، التي أدت إلى الأهواء والفرق والمنازعات في الدين والابتداع ما يلي:

١ ـ الغلو في الصالحين:

الغلو في الصالحين أول أسباب الضلال والشرك في البشرية، فأول شرك وقوع من قوم نوح، وكان سببه الغلو في الصالحين، كما سبق بيانه وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، في الذين يبنون المساجد على القبور ويتخذون الصور للصالحين «**أولئك شرار الخلق عند الله**»(١). ولا يزال هذا الداء داء من أعصى أدواء الأمة، فالغلو في الصالحين ضلت به طوائف كثيرة في تاريخ الإسلام، كالرافضة والصوفية والمقابرية قال شيخ الإسلام: «وقد وقع فيه طوائف من المتعبدة والمتصوفة، حتى

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري الحديث رقم (٤٢٦) انظر فتح الباري ١/٥٢٣ ومسلم الحديث رقم (٥٢٨) ١/٣٧٥.

خالط كثير منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه»[١].

٢ - ومن التعصب إخضاع النصوص الشرعية للأهواء:

فأهل البدع والمحدثات والافتراق لم يسلِّمُوا للنصوص ابتداء، بل اعتقدوا أمورًا من عند أنفسهم أو متبوعيهم، ثم أخذوا في الاستدلال عليها وإخضاع النصوص لها، كما سبق في منهج الاستدلال عندهم. قال الشاطبي:

«ولذلك سُمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم، ويدخل في غمارهم من كان منهم يغشى السلاطين لنيل ما عندهم، أو طلبًا للرياسة، فلابد أن يميل مع الناس بهواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا - حسبما ذكره العلماء ونقله الثقاة من مصاحبي السلاطين»[١].

وقال:

«وأن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع الأول في البدع، وهو المقصود السابق في حقهم ودليلهم الشرع كالمتبع في حقهم. ولذلك تجدهم يتأولون كل دليل خالف هواهم، ويتبعون كل شبهة وافقت

(١) انظر اقتضاء الصراط ١/٧٧.
(٢) الاعتصام ٢/١٧٦.

أغـراضهم. ألا ترى إلى قولـه تعـالى: ﴿فـأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعـون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ فأثبت لهم الزيغ أولاً، وهو الميل عن الصواب، ثم اتباع المتشابه وهو خلاف المحكم الـواضـح المعنى، الذي هو أم الكتاب ومعظمه، ومتشابهه على هذا قليل، فتركـوا اتبـاع المعـظم إلى اتباع الأقل المتشابه الذي لا يعطي مفهومًا واضحًا ابتغاء تأويله، وطلبًا لمعناه الذي لا يعلمه إلا الله»[١].

وفي هذا المعنى - وهـو إخضـاع الـدليل لرأي مسبق - حال كثير من المعاصرين، أصحاب الاتجاهات المخالفة، فإن الواحد منهم يتربى على مفاهيم معينة، أو يتلقاها من قراءاته، أو بهواه ثم يذهب ليستدل على ما في نفسه.

٣ - ومن التعصب حرص أهل الأهواء على التعلق ببدعهم والدعوة إليها وتفانيهم في ذلك

المتأمل لحال أهل الأهواء يجد أنهم يتميزون بالتفاني والتكلف في الدعوة إلى أهوائهم ونشرها وطلب الأتباع والمؤيدين. وهذا والله أعلم من تزيين أهوائهم لهم ومن خذلان الله لهم، قال تعالى: ﴿وإذا مسَّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ [سورة يونس، الآية: ١٢]، وقال: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨].

---

(١) الاعتصام ١/١٤٣.

ويقول الشاطبي في دعاة البدعة:

«وأما الداعي إذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولاسيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب، إذا أخذ في الترغيب والترهيب وأدلى بشبهته التي تداخل القلوب بزخرفها، كما كان معبد الجهني يدعو الناس إلى ما هو عليه من القول بالقدر، ويلوي بلسانه نسبته إلى الحسن البصري(*). فروي عن سفيان بن عيينة أن عمرو بن عبيد سئل عن مسألة فأجاب فيها وقال: «هو من رأى الحسن» فقال له رجل: إنهم يرون عن الحسن خلاف هذا. فقال: إنما قلت لك: «هذا من رأى الحسن» يريد نفسه[1]. والحسن الذي يوهم به عمرو بن عبيد هو الحسن البصري.

وقال محمد بن عبدالله الأنصاري: «كان عمرو بن عبيد إذا سئل عن شيء قال: «هذا من قول الحسن» فيوهم أنه الحسن بن أبي الحسن وإنما هو قوله»[2].

وقال الشاطبي:

«ومن الدليل على ذلك ما روي عن الأوزاعي قال: بلغني أن من ابتدع بدعة ضلالة (زين له)[3]، الشيطان (التنسك)[4] والعبادة أو

(*) يظهر والله أعلم أن في الكلام سقطاً لأن معبد الجهني قتل سنة (٨٠) هـ والحسن توفىٰ سنة (١١٠) هـ والذي كان يلوي بلسانه نسبة رأيه إلىٰ الحسن هو عمرو بن عبيد لا معبد كما ذكره الشاطبي هنا عن سفيان والأنصاري.

(١) الاعتصام ١/١٦٩، ١٧٠.

(٢) الاعتصام ١/١٦٩، ١٧٠.

(٣) زيادة من عندي ليستقيم الكلام.

(٤) زيادة من عندي ليستقيم الكلام.

ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به. وقال بعض الصحابة: «أشد الناس عبادة مفتون» واحتج بقوله ـ عليه الصلاة والسلام: «يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه»[١] إلى آخر الحديث. ويحقق ما قاله الواقع كما نقل في الأخبار عن الخوارج وغيرهم. فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجاه وغير ذلك من أصناف الشهوات، بل التعظيم على شهوات الدنيا، ألا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات، عن جميع الملذوذات، ومقاساتهم في أصناف العبادات، والكف عن الشهوات؟ وهم مع ذلك خالدون في جهنم»[٢].

٤ ـ الغلو في الدين (التشدد والتنطع):

والغلو في الدين باب عظيم من أبواب الأهواء والابتداع والتنطع وهو ضرب من التعصب المقيت، وقد وقع الغلو في هذه الأمة أول ما وقع من ثلاث طوائف:

الأولى: الخوارج، فقد تنطعوا في الدين وغلو وتشددوا حتى خرجوا عن السنة كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»[٣]. الحديث.

الثاني: الرافضة، فقد غلوا في آل البيت إلى حد التقديس واعتقاد العصمة فيهم.

---

(١) حديث الخوارج هذا مروي في الصحيحين وقد سبق تخريجه انظر ص (١٥).

(٢) الاعتصام ١/١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ـ باب الدين يسرـ الحديث (٣٩) فتح الباري ١/٩٣.

الثالث: الصوفية، فقد غلت مع الأولياء والصالحين حتى صرفت لهم كثير من أنواع العبادة وأعطتهم خصائص الألوهية، كعلم الغيب وتصريف مقاليد الكون.

٥ - التقليد والمتابعة على غير بصيرة:

مما ساعد في تكاثر أهل الأهواء واتباع الفرق وانتشار البدع، تقليد الدهماء والعامة والجهلة والعجم والأعراب ونحوهم لرؤوسهم وزعمائهم وشيوخهم تقليدًا بغير بصيرة (التقليد الأعمى) وتسليمهم لهم دون تمييز، وثقتهم بهم من دون العلماء الراسخين وأئمة الهدى. حتى حجبهم أئمة الضلالة عن أهل القدوة.

قال الشاطبي:

«وهذا الوجه هو الذي مال بأكثر المتأخرين من عوام المبتدعة؛ إذا اتفق أن ينضاف إلى شيخ جاهل أو لم يبلغ مبلغ العلماء، فيراه يعمل عملاً فيظنه عبادة فيتقدي به. كائنًا ما كان ذلك العمل، موافقًا للشرع أو مخالفًا، ويحتج به على من يرشده ويقول: كان الشيخ فلان من الأولياء وكان يفعله. وهو أولى أن يقتدى به من علماء الظاهر، فهو في الحقيقة راجع إلى تقليد من حسن ظنه فيه أخطأ أو أصاب. كالذين قلدوا آباءهم سواء، وإنما قصارى هؤلاء أن يقولوا: إن آباءنا أو شيوخنا لم يكونوا ينتحلوا مثل هذه الأمور سدى. وما هي إلا مقصودة بالدلائل والبراهين مع أنهم يرون أن لا دليل عليها ولا برهان يقود إلى القول بها»[١].

---

(١) الاعتصام ٢/١٨٢.

ولـو نظرنـا لحال أكثر أهل البدع والأهواء اليوم لوجدناهم من المقلدة على غير بصيرة، وما أحوجهم إلى من يبين لهم السنة والحق برفق وإشفـاق، وينتشلهم من أوحـال البـدعـة وأوضـار الأهـواء والفـرق والطرق، نسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق والسنة.

الرابع عشر: ترجمة الكتب الأجنبية وجلبها وترويجها بين المسلمين

من أخطر أسباب انتشار الأهواء بين المسلمين قديمًا وحديثًا ترجمة كتب الأديان والفلسفة. وما تحويه من عقائد ومذاهب وفلسفات.

وقد مرت الترجمة بمراحل:

الأولى: في عهد خالد بن يزيد بن معاوية، حيث أمر بترجمة كتب الصنعة من اليونانية والقبطية إلى العربية[١] في آخر القرن الأول.

والثانية: ظهور عدد من المترجمين ما بين سنة ١٣٦ إلى نهاية القرن الثاني، منهم يحيى بن البطريق، ترجم المجسطي أيام المنصور، وجورجيس بن جبرائيل الطبيب، وعبدالله بن المقفع ت (١٤٢) (ترجم بعض كتب أرسطوطاليس) ويوحنا بن ماسويه[٢].

والثالثة: في أول القرن الثالث وما بعده، وقد اشتهر بالترجمة يوحنا بن البطريق، والحجاج بن مطر، وفسطا بن لوقا البعلبكي، وعبدالمسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق وابنه إسحاق، وثابت بن قرة الصابىء وحبيش بن الحسن[٣]، وقد ترجموا كثيرًا من كتب الفلسفة.

والرابعة: في القرن الرابع وما بعده، ومنهم متى بن يونس،

---

(١) انظر الفهرست ٣٣٨، وانظر الفرق الكلامية الإسلامية ٩٨، ٩٩.

(٢) انظر الفهرست ٩٩.

(٣) السابق ٩٩.

وسنان بن ثابت بن قرة، ويحيى بن عدي وابن زرعة[١].

وقد ظهر التأثر بالكتب الأجنبية في وقت مبكر من بزوغ الآراء الشاذة في تاريخ الإسلام، فقد جاء في قصة صبيغ بن عسل التميمي الذي أدبه عمر بن الخطاب على خوضه في المتشابهات أنه: «كانت عنده كتب»[٢]، ثم أعقبه ما قيل من أن خالد بن يزيد أمر بترجمة بعض الكتب، لكن لم يتجه إلى كتب الفلسفة والكلام والعقائد، إنما إلى الطب والنجوم، والكيمياء ونحوها، ومع ذلك يغلب على الظن أنها لا تخلو من شيء من ذلك، خاصة علم النجوم، بل وكتب الطب كذلك؛ لأن كثيرًا من أطباء تلك الأمم الغابرة يخلطون بين الفلسفة والطب، فكثيرون من الأطباء فيهم فلاسفة، والعكس كذلك.

قال ابن النديم:

«الذي عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية، وكان خطيبًا شاعرًا فصيحًا حازمًا، ذا رأي، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم، وكتب الكيمياء، وكان جوادًا، يقال إنه قيل له: لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة. فقال خالد: ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وإخواني: وإني طمعت في الخلافة فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضًا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة»[٣].

ومما يدل على قوة أثر الكتب الأجنبية نشاط حركة الترجمة منذ وقت مبكر:

---

(١) السابق ١٠٠، وانظر للمزيد الفهرست أيضاً ٣٤٠ وما بعدها.

(٢) الإبانة ٢/٦٠٩.

(٣) الفهرست ٤٩٧.

قال ابن النديم:

«أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربية: اصطفن القديم، ونقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها.

البطريق وكان في أيام المنصور وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة.

ابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق، وكان في جملة الحسن بن سهل.

الحجاج بن مطر، فسّر للمأمون وهو الذي نقل المجسطي وإقليدس.

ابن ناعمة واسمه عبدالمسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي.

سلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة ويوجد بنقله السماع الطبيعي، كذلك حكى سيدنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى أيده الله.

حبيب بن بهريز. مطران الموصل فسرّ للمأمون عدة كتب»[1] وذكر حشدًا من المترجمين وما ترجموه.

وكانت عائلة البرامكة (فارسية مجوسية الأصل) نشيطة في ترجمة كتب أسلافها رغم أنها تظهر الإسلام، قال ابن النديم:

«حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم، وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب. قال محمد بن إسحاق: الذي عني بأمر الهند في دولة العرب، يحيى بن خالد وجماعة البرامكة، واهتمامها بأمر الهند

(١) الفهرست ٣٤٠، ٣٤١.

وإحضارها علماء طبها وحكمائها»[١].

والحكماء عند هؤلاء تعني الفلاسفة! وهذا من قلب الحقائق، وانتكاس المفاهيم.

وكان تأثير كتب الترجمة في عهد المأموم في أول القرن الثالث وما بعده أشد وأبلغ، حيث كثرت ترجمة كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر»[٢].

قال ابن النديم:

قال أحمد بن عبدالله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون ـ أحسبه الرشيد ـ ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم ـ عليه السلام ـ وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه وهو كتاب فيه طول إلا أني اختصرت منه ما لابد منه ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم»[٣].

وقال:

قال أحمد بن عبدالله بن سلام: ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفًا حرفًا»[٤].

---

(١) الفهرست ٤٨٤.

(٢) الفتاوى ٢ / ٨٤.

(٣) الفهرست ٣٢.

(٤) الفهرست ٣٣.

وقال ابن النديم أيضًا:

«وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعًا باللغتين فصيحًا بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب (خدينامه) في السير كتاب (آيين تامه) في الأصر. كتاب كليلة ودمنة، كتاب مزدك، كتاب التاج في سيرة أنوشروان، كتاب الآداب الكبير ويعرف بها قرأ حسيس، كتاب الأدب الصغير، كتاب اليتيمة في الرسائل»[1].

«إلى بعد المائتين فظهر المأمون الخليفة وكان ذكيًّا متكلمًا، له انظر في المعقول، فاستجلب كتب الأوائل وعرب حكمة اليونان وقام في ذلك وخبَّ ووضع ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها، بل والشيعة، فإنه كان كذلك وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن وامتحن العلماء فلم يمهل وهلك لعامه»[2].

ومما شملته الترجمة: المنطق الذي أسهم في ترويج علم الكلام وتلميعه، فقد ترجمت كتب المنطق في عهد المأمون كما ذكر شيخ الإسلام:

«ولم يسمع سلفًا بذكر هذا المنطق اليوناني وإنما ظهر في الإسلام لما عربت الكتب الرومية في عهد دولة المأمون أو قريباتها»[3].

وهكذا نجد أن هذا التيار العارم في ترجمة كتب الأديان

(١) الفهرست ١٧٢.
(٢) سير ١١/٢٣٦.
(٣) الفتاوى ٩/٢٤١.

والفلسفات والنحل قد أسهم بشكل كبير في انتشار الأهواء والفرق والبدع، والمقالات الفاسدة وكان رافدا قويًّا لأهل الأهواء ومصدرًا مهمًّا من مصادرهم.

ولا يزال هذا التيار من أسباب تأثر طوائف من هذه الأمة بالأفكار والعقائد الوافدة من الأمم الكافرة الهالكة.

ويتمثل ذلك بالغزو الفكري ومظاهره كالعلمنة، والحداثة والقوميات، والحزبيات والشعارات الفارغة، **ونحو ذلك**.

الخلاصـــــة

في ختام الحلقة الثانية حول نشأة الأهواء والبدع والافتراق وأسبابها نخلص إلى النتائج التالية:

١ ـ أن وقـوع الأهواء والبدع والافتراق من سنن الله تعالى في الأمم السالفة ومع هذه الأمة وأنهم لايزالون مختلفين إلا من رحم ربي.

٢ ـ أن الله تعالى حذرنا من الأهواء والافتراق والبدع، وأمرنا بالتزام الحق والسنة وأوجب علينا الجهاد والأمر بالعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله على بصيرة فوقوع الافتراق إنما هو ابتلاء وفتنة فلا يعني ذلك مشروعية الابتداع والافتراق أو الرضا به، أو تركه يفتك بالأمة.

٣ ـ أن الله تعالى بيّن لعباده (على ألسنة رسله) طريق الحق وأرشدهم إليه ويسره لهم وأمرهم باتباعه ورتب الجزاء عليه بالثواب لمن اتبع الحق.

وبين لهم طريق الضلال ونهاهم عنه وأمرهم باجتنابه ورتب الجزاء عليه والعقاب لمن تنكب الصراط المستقيم.

٤ ـ أن من أعظم أسباب وقوع طوائف من الأمة في الأهواء:

١ ـ اتباع خطوات الشيطان.

٢ ـ نزعات النفوس الأمارة بالسؤ.

٣ ـ اتباع الهوى.

٤ ـ الجهل.

٥ ـ النفاق.

٦ ـ كيد الأعداء.

٧ ـ الظلم.

٨ ـ التعصب.

٩ ـ التشبه والتقليد.

١٠ ـ الجدال والخصومات في الدين.

١١ ـ الإعراض عن الهدى.

١٢ ـ الحسد.

١٣ ـ الغلو والتنطع في الدين.

وهذه أسباب عامة يدخل تحتها ما لا حصر له من الفروع والجزئيات كما أنه أصول للضلالة في كل أمة، وعامة من هلك من الأمم هلك بها أو بعضها.

٥ ـ أن الأهواء تبدأ من أمور قد يستصغرها الناس، ثم يتساهلون بها حتى تكون من الطوامّ (ومعظم النار من مستصغر الشرر).

٦ ـ أن أصول الأهواء والفرق الأولى (الشيعة والخوارج) بدأت من الفتنة عن عثمان وأصول الرفض بدأت من السبأية والفرس والمجوسية واليهودية والنصرانية وأصول التصوف بدأت من بدع العبَّاد والنساك الجهلة ومن الخوارج الرافضة ثم الديانات الهندية والنصرانية والفلاسفة.

وأصول القدر بدأت من النصارى واليهود ثم الفلاسفة.

وأصول التجهم والاعتزال بدأت من الدهرية والسُّمنية والفلاسفة والصائبة. وأصول الكلام بدأت من الفلاسفة والصائبة والجهمية والمعتزلة والرافضة.

وأصول الباطنية بدأت من الزنادقة والرافضة والفلاسفة وسائر الديانات والنحل.. وهكذا.

٧ ـ أن بعض البدع قد تنشأ عن زلة أو هفوة أو غفلة ممن ينسب لأهل العلم أو الاستقامة، كما حصل من بعض العبَّاد، وبعض الولاة وبعض المنسبين للعلم، لكن لا يمكن أن يقرها أهل العلم المقتدى بهم في الدين ولا يمكن أن يلتبس أمرها على العلماء وأهل الفقه في الدين إنما يكون فيها فتنة وابتلاء لأهل الأهواء والجاهلين.

٨ ـ أن ما كان النبي ﷺ يحذر منه أمته قد وقع مثل: التنازع والاختلاف والافتراق، والبدع والمحدثات في الدين، والركون للدنيا، وكثرة الفتن، وغربة الحق وأهله، واتخاذ القبور مساجد ونقض عرى الإسلام، وضياع الأمانة، وغير ذلك كثير.

٩ ـ أن ذلك كله لا يعني غياب الحق، وفساد الدين، وخفاء السنة بل الدين باق، والحق ظاهر، والحجة قائمة، والإسلام محفوظ بحفظ الله له، بحفظ الكتاب والسنة، وببقاء طائفة على الحق ظاهرة، لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى أن يأتي أمر الله.

٧ ـ أن الحق لا يعرف بالكثرة والعدَدَ، إنما يعرف بالتزام السنة واتباع الأثر، فأكثر الناس عددا هم على طريق الضلالة وفي سبيل الغواية والبدع والمحدثات والأهواء، فيجب على المسلم أن لا يعوِّل على العددية والكثرة. إنما الحق ما وافق السنة ولو قل أهله.

١١ ـ أن أسباب الأهواء والافتراق والبدع وأصولها واحدة قديمًا وحديثًا ـ وهي تزداد ولا تنقص. لكنها مع ظهور الحق واستعلاء أهله تضعف وتنحسر وتضمر وتتراجع، ومع كثرة الفساد والخبث والجهل تظهر وتعود وتقوى وتنتشر.

١٢ ـ أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها. وأنه لا عز ولا تمكين للمسلمين إلا بالتخلص من أوضار البدع والأهواء والمحدثات في

الدين، وبالرجوع إلى السنة واتباع سلف الأمة، وما يستلزمه ذلك من الأخذ بالأسباب، وإعداد القوة المعنوية والمادية التي سبيلها الأولى تحقيق التوحيد، والعمل بشرع الله.

ولانزال نرى (بحمد الله) بوادر صلاح أبناء المسلمين وبشائر النصر والتمكين تلوح في الأفق، وأعلام السنة ترتفع في ربوع الأرض.

وأخيراً أوصي نفسي وأخواني المسلمين بتقوى الله تعالى، ومراقبته تعالى في السر والعلن، وبذل النصح لكل مسلم، وعدم اليأس من رحمة الله تعالى، والبعد عن التشاؤم، وامتثال قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠]. فإن النصر والأجر مشروطان بالصبر وإن الله مع الصابرين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: ناصر بن عبدالكريم العقل

الفهـارس

فهرس الأحاديث والآثار

أسباب ونشأة الأهواء والفرق والبدع

فهرس المراجــع والمصــادر

(١) **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية** ـ لابن بطة العكبري الحنبلي ت (٣٨٧) تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي ط١ دار الراية ١٤٠٩.

(٢) **إبـطال التـأويـلات لأخبـار الصفات** لأبي يعلى الموصلي تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي، طـ الأولي (١٤١٠)(دار الإمام الذهبي الكويت).

(٣) **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** للامام ابن القيم تحقيق فواز أحمـد زمـرلي طـ. دار الكتاب العربي بيروت (١٤٠٨هـ) الأولى.

(٤) **الأربعين في أصول الدين** للغزالي تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق نشر دار الآفاق الجديدة بيروت، طـ. الرابعة ١٤٠٢هـ.

(٥) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** للعلامة محمد ناصر الدين الألباني طـ. الثانية (١٤٠٥) المكتب الإسلامي بيروت.

(٦) **أساس التقديس** لفخر الدين أبي عبدالله الرازي طـ. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٥٤).

(٧) **الاستقامة** لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم طـ (١) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ.

(٨) **الأسماء والصفات** للبيهقي تحقيق الكوثري طـ. ١٣٥٨هـ.

(٩) **الإسماعيلية تاريخ وعقائد** إحسان إلهي ظهير طـ. الأولى ١٤٠٦ عالم الكتب الرياض.

(١٠) **أصول الدين لعبدالقاهر البغدادي** ط. الثانية (مصورة عن طبعة استابول ١٣٤٦).

(١١) **الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي الغرناطي** بتعريف: محمد رشيد رضا ط. دار المعرفة (١٤٠٢هـ).

(١٢) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي تـ (٤٥٨). بعناية أحمد عصام الكاتب ط. دار الآفاق الجديدة (١) ١٤٠١هـ.

(١٣) **الأعلام** - خير الدين الزركلي ط. الخامسة ١٩٨٠ دار العلم للملايين لبنان.

(١٤) **الإعلام بوفيات الأعلام للإمام محمد بن أحمد الذهبي** تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبدالباقي ط. (الأولى ١٤١٣) المكتبة التجارية بمكة.

(١٥) **أعلام الموقعين عن رب العالمين** لابن قيم الجوزية.

(١٦) **الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني** ط. ١٣٢٣ القاهرة.

(١٧) **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل طـ٢ مكتبة الرشد (١٤١١هـ).

(١٨) **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع** للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق مشهور حسن سليمان.

(١٩) **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** للقاضي أبي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ط. (١) ١٤٠٧هـ.

(٢٠) **إيثار الحق على الخلق لأبي عبدالله محمد بن المرتضى** (ابن الوزير) ت (٨٤٠هـ) ط١ دار الكتب العلمية بيروت.
(٢١) **إيضاح الدلالة في عموم الرسالة** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ١٩.
(٢٢) **الإيمان الأوسط** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ٧.
(٢٣) **الإيمان الكبير** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى بجـ٧.
(٢٤) **الباعث على إنكار البدع والحوادث** لأبي شامة ط. الثانية ١٤٠١هـ مطبعة النهضة الحديثة بمكة.

(ب)

(٢٥) **البداية والنهاية** للحافظ أبي الفداء ابن كثير ط. الثانية ١٩٧٨ مكتبة المعارف بيروت.
(٢٦) **بغية المرتاد** لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية تحقيق ودراسة د. موسى بن سليمان الدويش ط (١) ١٤٠٨هـ مكتبة العلوم والحكم.
(٢٧) **البيهقي وموقفه من الإلهيات** د. أحمد بن عطية الغامدي ط. الثانية ١٤١٢هـ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة.
(٢٨) **بيان تلبيس الجهمية** لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق كل من: أحمد معاذ/ يحيى الهنيدي/ راشد الطيار/ رشيد حسن/ محمد اللاحم/ عبدالرحمن اليحيى/ سليمان الغفيص/ محمد البريدي. (رسائل دكتوراة)

(ت)

(٢٩) **تاريخ الإسلام للإمام الذهبي** تحقيق د. عمر عبدالسلام

تدمري ط ١ دار الكتاب (١) ١٤٠٩هـ.
(٣٠) **تاريخ التصوف الإسلامي** د. عبدالرحمن بدوي ط ١، ١٩٧٤م.
(٣١) **التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري** د. عبدالرحمن سالم ط ١ ١٤٠٩هـ.
(٣٢) **تاريخ الطبري** (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر الطبري ط. الثانية (١٤٠٨هـ) دار الكتب العلمية بيروت.
(٣٣) **تاريخ الفرق الإسلامية** علي مصطفى الغرابي ط على صبح وأولاده بالقاهرة ط الأولى (١٣٧٨هـ).
(٣٤) **تاريخ المذاهب الإسلامية** تأليف محمد أبو زهرة ط **١٩٨٩** دار الفكر العربي.
(٣٥) **التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين** أبو المظفر الإسفراييني تحقيق كمال يوسف الحوت ط عالم الكتب (١) ١٤٠٣هـ.
(٣٦) **تبيين كذب المفترى** ـ ابن عساكر الدمشقي ت (٥٧١) بتعليق زاهد الكوثرى دار الكتاب العربي ط **١٣٩٩**هـ.
(٣٧) **تحذير الخواص من أكاذيب القصاص** لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد الصباغ ط. المكتب الإسلامي (الثانية) ١٣٩٤هـ.
(٣٨) **تحريم النظر في كتب الكلام** للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي تحقيق عبدالرحمن دمشقية ط الأولى ١٤١٠ دار عالم الكتب الرياض.

(٣٩) **التحفة العراقية** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوي جـ١٠.
(٤٠) **التدمرية** شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوي جـ٣.
(٤١) **تذكرة الحفاظ** للذهبي طـ. دار الفكر العربي.
(٤٢) **التعليق المغنى على الدارقطني** لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي طبع بهامش سنن الدارقطني طـ الثانية (١٤٠٣) عالم الكتب بيروت.
(٤٣) **تفسير الطبري** (جامع البيان) لابن جرير الطبري طـ. دار المعرفة بيروت (الثالثة) ١٣٩٨هـ.
(٤٤) **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير طـ. دار القلم بيروت (الأولى)
(٤٥) **تفسير مجاهد** لمجاهد بن جبر المكي تحقيق عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي طـ. الأولى ١٣٦٩هـ.
(٤٦) **تقريب التهذيب** للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق وتعليق عبدالوهاب عبداللطيف الثانية (١٣٩٥هـ).
(٤٧) **تلبيس إبليس** - أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ت (٥٩٧) طـ (٢) ١٣٦٨هـ إدارة الطباعة المنيرية.
(٤٨) **التلخيص** للحافظ الذهبي على هامش المستدرك.
(٤٩) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** للإمام الحافظ ابن عبدالبر الأندلسي تحقيق وتعليق الأستاذ مصطفى بن أحمد العلوي والأستاذ/ محمد عبدالكبير البكري.
(٥٠) **التنبيه والرد** للإمام أبي الحسين الملطي تحقيق زاهد الكوثري طـ (١٣٨٨) مكتبة المثنى ببغداد والمعارف بيروت.

(٥١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني تحقيق وتعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط. الثانية (١٤٠٣) رئاسة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية.
(٥٢) تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر العسقلاني ط (١٣٢٧هـ).
(٥٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ـ عز وجل ـ للإمام أبي بكر بن خزيمة تحقيق ودراسة د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان ط. دار الرشد بالرياض (الأولى) ١٤٠٨هـ.

(جـ)

(٥٤) جامع الأصول لابن الأثير الجزري تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ط. ١٣٨٩هـ.
(٥٥) جامع بيان العلم وفضله الإمام يوسف بن عبدالبر إدارة الطباعة المنيرية.
(٥٦) جامع الرسائل المجموعة الأولى والثانية لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. دار المدني ط (١) (٢) ١٤٠٥هـ.
(٥٧) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي ط. الأولى ١٤٠١ دار الفكر ببيروت.
(٥٨) الجامع لأخلاق الراوي وآدم السامع للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان ط. مكتبة المعارف بالرياض (١٤٠٣هـ).

(٥٩) الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام بن تيمية ضمن الفتاوى جـ٢٧ .
(٦٠) الجواب الباهر في زوار المقابر ابن تيمية عناية/ سليمان الصنيع وعبدالرحمن المعلمي طـ. رئاسة البحوث ١٤٠٤هـ.
(٦١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام بن تيمية تقـديم وإشراف على السيد صبحي المدني طـ. مطبعة المدني بالقاهرة عام ١٣٨١هـ.

(حـ)

(٦٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للحافظ قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني تحقيق ودراسة محمد بن ربيع بن هادى المدخلي طـ. دار الراية الأولى (١٤١١هـ).
(٦٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. محمد أحمد الخطيب طـ. الثانية (١٤٠٦هـ) مكتبة الأقصى ودار عالم الكتب.
(٦٤) الحق الدامغ لأحمد الخليلي طـ. ١٤٠٩هـ مطابع النهضة (مسقط).
(٦٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني تـ (٤٣٠) ط. دار الكتاب العربي بيروت طـ (٢) ١٤٠٠هـ.
(٦٦) الحموية الكبرى شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ٥ .

(خـ)

(٦٧) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للحافظ صفي الدين الخزرجي

الأنصاري ط. الثانية (١٣٩١هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية حلب.

(٦٨) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ط. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٦٩) خلق أفعال العباد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة ط. دار المعارف ١٣٩٨هـ.

(د)

(٧٠) درء تعارض العقل والنقل - أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ط. جامعة الإمام ١٣٩٩هـ.

(٧١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) الدكتور أحمد محمد جلي ط. الثانية ١٤٠٨هـ. عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

(٧٢) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه للحافظ أبي الفرج بن الجوزي تحقيق محمد زاهد الكوثري.

(ذ)

(٧٣) ذم الكلام وأهله للإمام الهروي الأنصاري (مخطوط) عن مخطوطة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (٧٨٠٣/خ).

(ر)

(٧٤) **رد الدارمي على المريسي ـ الإمام عثمان بن سعيد الدارمي** تعليق محمد حامد الفقي طـ (١) ١٣٥٨هـ دار الكتب العلمية بيروت.
(٧٥) **الرد على المخالف من أصول الإسلام** د. بكر بن عبدالله أبو زيد طـ. الثانية دار الهجرة (١٤١١هـ).
(٧٦) **رسـالـة أهل الثغر (أصول أهل السنة والجماعة)** لأبي الحسن الأشعري ت (٣٢١) تحقيق د. محمد السيد الجليند طـ (٢) ١٤١٠هـ.
(٧٧) **رسـالـة في إثبات الاستواء والفوقية** للامام عبدالله بن يوسف الجـويني والـد إمـام الحـرمـين ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٧٤/١ طـ. ١٩٧٠ إدارة الطباعة المنيرية.
(٧٨) **الرسالة القبرصية** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ٢٨.
(٧٩) **الرسالة المدنية** لشيخ الإسلام بن تيمية ضمن الفتاوى جـ ٦.

(س)

(٨٠) **سلسلة الأحاديث الصحيحة** للعلامة محمد ناصر الدين الألباني طـ الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي.
(٨١) **السنـة** لأبي بكـر الخلال ت (٣١١) تحقيق ودراسة د/ عطية الزهراني طـ. دار الراية للنشر والتوزيع (١) ١٤١٠هـ.

(٨٢) السنة للإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي تحقيق/ أبو محمد سالم بن أحمد السلفي ط. الأولى ١٤٠٨هـ مؤسسة الكتب الثقافية.

(٨٣) سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبدالله محمد بن ماجه القزويني ت (٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط. إحياء التراث (١٣٩٥هـ).

(٨٤) سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي تعليق عزت عبيد الدعاس ط. الأولى (١٣٩٨هـ).

(٨٥) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي نشر المكتبة الإسلامية (للحاج رياض الشيخ).

(٨٦) سنن الدارقطني للحافظ علي بن عمر الدارقطني بتعليق أبي الطيب محمد العظيم آبادي ط. الثانية (١٤٠٣) عالم الكتب بيروت.

(٨٧) سنن الدارمي للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي عنايه محمد أحمد دهمان دار إحياء السنة النبوية.

(٨٨) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ٢٨.

(٨٩) سير أعلام النبلاء للامام الذهبي تحقيق شعيب الأروناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٠١ ط١ جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.

(ش)

(٩٠) شذرات الذهبي لابن العماد الحنبلي ط١ دار التراث العربي بيروت.
(٩١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي تحقيق د/ أحمد سعد حمان ط. دار طيبة الرياض.
(٩٢) شرح السنة للإمام الحسين البغوي ت (٥١٦) تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ط. المكتب الإسلامي (الأولى) ١٣٩٠هـ.
(٩٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط. المكتب الإسلامي (الرابعة) ١٣٩١هـ.
(٩٤) شرح فصوص الحكم - الفصوص لابن عربي الطائي (محيي الدين) والشرح لعبد الرازق القاشاني ط. (٢) ١٣٨٦ مصطفى البابي بمصر.
(٩٥) شرح كتاب الفقه الأكبر - المتن لابن حنيفة والشرح لملا علي القارىء ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤ الأولى.
(٩٦) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري تحقيق ودراسة رضا نعسان معطي ط. ١٤٠٤هـ.
(٩٧) الشريعة - لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ت (٣٦٠) بتحقيق محمد حامد الفقي ط. دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

(ص)

(٩٨) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق ودراسة محمد بن الحلواني وزميله (رسالة ماجستير) طبع بالآلة الكاتبة ١٤١٣.

(٩٩) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري انظر (فتح الباري).

(١٠٠) صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط الثالثة (١٤٠٢) المكتب الإسلامي بيروت.

(١٠١) صحيح مسلم ـ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي طـ١ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١٠٢) صريح السنة للإمام ابن جرير الطبري ت (٣١٠) تحقيق بدر بن يوسف المعتوق ط (١٤٠٥).

(١٠٣) صفة الغرباء. تأليف الشيخ سلمان بن فهد العودة ط الأولى (١٤١١) دار ابن الجوزي ـ الدمام.

(١٠٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة الإمام أبو بكر بن قيم الجوزية تحقيق ودراسة. د. علي بن محمد الدخيل الله ط (١) دار العاصمة ١٤٠٨هـ.

(١٠٥) صون المنطق والكلام عن المنطق والكلام للسيوطي تعليق على سامي النشار ط. الباز بمكة.

(ض)

(١٠٦) ضعيف الجامع الصغير وزيادته للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ط المكتب الإسلامي.

(ط)

(١٠٧) **طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى** ط. دار المعرفة بيروت.

(١٠٨) **الطبقات الكبرى لابن سعد** ط. صادر بيروت.

(ع)

(١٠٩) **عبدالله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة** (مقاله) كتبها الدكتور عبدالعزيز صالح الهلابي بحولية كلية الآداب جامعة الكويت الحوليه (٨) سنه (٤٥) عام ١٤٠٧ـ١٤٠٨هـ.

(١١٠) **عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان** (رسالة ماجستير) إعداد/ سليمان بن صالح الغصن ط. بالآلة الكاتبة (١٤٠٩).

(١١١) **عقيدة السلف أصحاب الحديث شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني** تحقيق بدر البدر ط. الدار السلفية ١٤٠٤هـ.

(١١٢) **العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية** (مالك بن أنس) تأليف/ محمد بن عبدالرحمن المغراوي ط. دار المنار (الخرج) ١٤١٢هـ.

(١١٣) **العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي** صححه وقدم له عبدالرحمن محمد عثمان ط الثانية (١٣٨٨)هـ المكتبة السلفية بالمدينة.

(١١٤) **العين والأثر في عقائد أهل الأثر** ـ عبدالباقي المواهبي الحنبلي ت (١٠٧١هـ) تحقيق عصام رواس قلعجي ط (١) ١٤٠٧هـ دار المأمون للتراث.

(غ)

(١١٥) **الغـربـاء الأولون** ـ الشيخ سلمان بن فهد العود ط. الأولى ١٤١٠ دار ابن الجوزي (الدمام).

(١١٦) **الغنية في أصول الدين** ـ لابن سعيد عبدالرحمن النيسابوري المعروف بالمتولي الشافعي ت (٤٧٨) تحقيق/ عماد الدين أحمد حيدر ط. الأولى (١٤٠٦) مؤسسة الكتب الثقافية.

(ف)

(١١٧) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** للإمام أحمد بن حجر العسقلاني تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

(١١٨) **الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد** تأليف أحمد عبدالرحمن البنا (الساعاتي) ط. الثانية دار إحياء التراث العربي.

(١١٩) **الفـرقان بين الحق والباطل** لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى جـ١٣.

(١٢٠) **فرق الشيعة** للحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبدالله القمي تحقيق وتعليق ودراسة د. عبدالمنعم الحفني طـ. الأولى ١٤١٢ دار الرشد (القاهرة).

(١٢١) **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة** د. علي عبدالفتاح المغربي طـ. الأولى ١٤٠٧ مكتبة وهبة بمصر.

(١٢٢) **الفرق بين الفرق** ـ للبغدادي ـ تحقيق محيى الدين عبدالحميد ط. دار المعرفة بلبنان.

(١٢٣) **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الظاهري تحقيق

د. محمد إبراهيم نصر د/ عبدالرحمن راتب عجيرة ط. دار الجيل بيروت.
(١٢٤) فضل علم السلف على علم الخلف للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق يحيى مختار غزاوي ط. الأولى (١٤٠٣) دار البشائر الإسلامية.
(١٢٥) الفهرست لابن النديم ط. دار المعرفة بيروت (١٣٩٨هـ).

(ق)

(١٢٦) القائد إلى تصحيح العقائد للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني تعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط. المكتب الإسلامي - الثالثة (١٤٠٤هـ).
(١٢٧) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق سليمان الغصن ط. دار العاصمة بالرياض (١٤١١) الأولى.
(١٢٨) قاعدة في الاسم والمسمى - شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوي جـ٦.
(١٢٩) القاموس المحيط للعلامة الفيروز آبادي ط. مؤسسة الرسالة (الثانية) ١٤٠٧هـ.

(ك)

(١٣٠) الكامل لابن الأثير ط. دار الكتاب العربي (١٤٠٣هـ)
(١٣١) كتاب الأوائل - لابن أبي عاصم الشيباني/ تحقيق محمد بن ناصر العجمي ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

(١٣٢) **كتاب الإيمان للحافظ محمد بن يحيى المدني** ت (٢٤٣) دراسة وتحقيق حمد بن حمدي الحربي ط. الدار السلفية (١٤٠٧هـ).
(١٣٣) **كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي** تحقيق د/ فتح الله خليف ط. دار الجامعات المصرية.
(١٣٤) **كتاب الزيارة لشيخ الإسلام ابن تيمية** مراجعة وتعليق سيف الدين الكاتب ط. دار مكتبة الحياة بيروت (١٤١٠).
(١٣٥) **كتاب شرح السنة للبربهاري** تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ـ دار ابن القيم ط. الأولى (١٤٠٨)هـ.
(١٣٦) **كتاب الصفدية** لشيخ الإسلام ابن تيمية/ تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. الثانية (١٤٠٦).
(١٣٧) **كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني** دراسة وتحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المبارك فوري ط. الأولى (١٤٠٩٨) دار العاصمة بالرياض.
(١٣٨) **كتاب المصنف في الأحاديث والآثار** للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة ط. الدار السلفية بالهند الأولى ١٤٠٣هـ.
(١٣٩) **كتاب الصفات للحافظ** علي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥) تحقيق وتعليق الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان ط. مكتبة الدار بالمدينة النبوية الأولى) ١٤٠٢هـ.
(١٤٠) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** لعلاء الدين البرهان فوري عناية/ بكري حياني وصفوة السقا ط. الخامسة (١٤٠١)هـ. مؤسسة الرسالة.

(ل)

(١٤١) **اللباب في تهذيب الأنساب** لعز الدين ابن الأثير الجزري طبعة مكتبة المتنبي ببغداد.

(١٤٢) **لسان العرب** لأبي الفضل بن منظور ط. دار الفكر/ دار صادر بيروت.

(١٤٣) **لسان الميزان** للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ط. الثاني مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ١٣٩٠ مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند سنة ١٣٣٠هـ.

(١٤٤) **اللمع** - لأبي نصر السراج الطوسي حققه د/ عبدالحليم محمود - طه عبدالباقي سرور ط. دار الكتب الحديثة بمصر ودار المثنى ببغداد عام ١٣٨٠هـ.

(١٤٥) **لمع الأدلة** - لأبي المعالي الجويني تحقيق د/ فوقية حسين محمود ط. عالم الكتب (الثانية) ١٤٠٧هـ.

(م)

(١٤٦) **الماتريدية** - دراسة وتقويمًا - تصنيف أحمد بن عوض الله الحربي النشرة الأولى ١٤١٣ دار العاصمة بالرياض.

(١٤٧) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية** - جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ط. مكتبة المعارف بالرباط المغرب.

(١٤٨) **مجموعة الرسائل المنيرية** - إعداد الطباعة المنيرية ١٣٤٣ ونشرها محمد أمين دمج عام ١٩٧٠ بيروت.

(١٤٩) **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين** لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ط. الأولى ١٤٠٤ دار الكتاب العربي.
(١٥٠) **مختار الصحاح** ـ لمحمد بن أبي بكر الرازي ط. ١٩٦٧ دار الكتاب العربي.
(١٥١) **مختصر الصواعق المرسلة** لابن القيم ـ اختصار الموصلي ط. مكتبة الرياض المدينة ـ الرياض.

(١٥٢) **مذاهب الإسلاميين** د. عبدالرحمن بدوي ط. (٣) ١٩٨٣م.
(١٥٣) **مسائل الامام أحمد لأبي داود** مقابلة محمد بهجة البيطار عناية محمد رشيد رضا ط. دار المعرفة للطباعة والنشر.
(١٥٤) **مسائل الإمام أحمد** ـ رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانىء النيسابوري تحقيق زهير الشاويش ـ ط. المكتب الإسلامي (الأولى) ١٤٠٠هـ.
(١٥٥) **مسائل الإيمان للقاضي** أبي يعلى الفراء حققه وعلق عليه سعود بن عبدالعزيز الخلف ط. دار العاصمة بالرياض الأولى عام (١٤١٠).
(١٥٦) **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة** د. ناصر بن عبدالله القفاري ط. دار طيبة بالرياض الأولى (١٤١٢).
(١٥٧) **المستدرك على الصحيحين** للإمام الحاكم النيسابوري ط. مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب) (بهامشه التلخيص للذهبي).

(١٥٨) مسند الإمام أحمد لامام السنة أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي ودار صادر.
(١٥٩) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط الثالثة ١٤٠٥ المكتب الإسلامي.
(١٦٠) مشكل الحديث لابن فورك تحقيق وتعليق د. عبدالمعطي أمين قلعجي ط الأولى ١٤٠٢ وط. ١٤٠٠ هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(١٦١) المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية د. محمد عمارة ط (٢) ١٩٨٨م.
(١٦٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ط (١٣٩٧) دار صادر.
(١٦٣) المعجم الفلسفي جميل صليبيا.
(١٦٤) المعجم الوسيط إصدار (مجمع اللغة العربية) ط. دار إحياء التراث العربي بيروت.
(١٦٥) المغني لابن قدامة المقدسي تحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ود. عبدالفتاح الحلو ط الأولى ١٤١٠هـ.
(١٦٦) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تحقيق/ محمد محيى الدين عبدالحميد ط (٢) ١٣٨٩هـ النهضة المصرية.
(١٦٧) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي بعناية بسام عبدالوهاب الجبالي ط الأولى ١٤٠٧ الجفان والجابى للطباعة والنشر.
(١٦٨) مناقب الإمام الشافعي للامام ابن كثير حققه وخرج نصوصه وعلق عليه خليل إبراهيم ملا خاطر ط. مكتبة الإمام

الشافعي بالرياض الأولى ١٤١٢هـ.
(١٦٩) **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها** ـ عواد بن عبدالله المعتق ط دار العاصمة بالرياض عام ١٤٠٩ الأولى.
(١٧٠) **المطالب العالية لأبي عبدالله الرازي ابن الخطيب** / تحقيق أحمد حجازي السقا ط الأولى (١٤٠٧) هـ دار الكتاب العربي بيروت.
(١٧١) **الملل والنحل** لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة (١٤٠٢) بيروت.
(١٧٢) **الملل والنحل** لعبدالقاهر البغدادي حققه وقدم له وعلق عليه د. ألبير نصري نادر ط دار المشرق بيروت.
(١٧٣) **المنار المنيف** لابن القيم تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ط الثانية ١٤٠٣ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
(١٧٤) **مناقب الإمام أحمد لأبي الفرج بن الجوزي** تحقيق د. عبدالله التركي وتصحيح د. علي محمد عمر ط الأولى (١٣٩٩هـ).
(١٧٥) **المنقذ من الضلال** لمحمد بن محمد الغزالي المسمى بحجة الإسلام ط (٨) ١٣٩٤ ومعها أبحاث في التصوف للدكتور عبدالحليم محمود، ونسخة أخرى بتحقيق د. جميل صليبيا ود. كامل عياد الطبعة السابعة (١٩٦٧) دار الأندلس.
(١٧٦) **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية** تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأولى عام ١٤٠٦هـ.
(١٧٧) **المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند أحمد** ـ أعداد/

عبدالله بن ناصر عبدالرشيد رحماني ط الأولى ١٤١١ دار طيبة بالرياض.
(١٧٨) **منهج الأشاعرة في العقيدة** للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي (مذكرة).
(١٧٩) **منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل** ـ عرض وتقديم (رسالة ماجستير) تأليف محمد بن ناصر السحيباني طبع بالآلة الكاتبة (١٤١٢هـ).
(١٨٠) **المهدى المنتظر عند الشيعة الإثنى عشرية** (رسالة دكتوراه) مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة من جلال الدين محمد صالح مطبوع بالآلة (١٤١٢هـ).
(١٨١) **الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي** تحقيق عبدالله دراز ط دار المعرفة بيروت.
(١٨٢) **المواقف في علم الكلام** ـ عضد الدين الإيجي ط عالم الكتب بيروت.
(١٨٣) **الموطأ للإمام مالك بن أنس** تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي.
(١٨٤) **موقف ابن تيمية من الأشاعرة** (رسالة دكتوراه) د. عبدالرحمن بن صالح المحمود (طبع الآلة الكاتبة ١٤٠٨هـ).
(١٨٥) **ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي** تحقيق على محمد البجاوي ط دار الفكر.

(ن)

(١٨٦) **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** د. علي سامي النشار ط (٧)

دار المعارف ١٩٧٧م .
(١٨٧) **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها** د. عرفان عبدالحميد فتاح ط المكتب الإسلامي ١٣٩٤ بيروت .
(١٨٨) **نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية** تحقيق محمد حامد الفقي ومحمد حمزة وسليمان الصنيع ط دار الكتب العلمية بيروت .
(١٨٩) **نهاية الإقدام في علم الكلام** ـ عبدالكريم الشهرستاني حرره وصححه الفرد جيوم ط مكتبة المتنبي .
(١٩٠) **نهج البلاغة** ـ جمعه الشريف الرضي ونسبه إلى علي بن أبي طالب شرح محمد عبده ط الأعلى بيروت .

(هـ)

(١٩١) **هجر المبتدع** . د. بكر بن عبدالله أبو زيد ط الثانية ١٤١٠ دار ابن الجوزي .
(١٩٢) **هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر** العسقلاني بتحقيق وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ط رئاسة البحوث بالمملكة العربية السعودية .

(و)

(١٩٣) **الوصية الصغرى لشيخ الإسلام بن تيمية** ضمن الفتاوى جـ١٠ .
(١٩٤) **الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية** ضمن الفتاوى جـ٣ .
(١٩٥) **الوصايا لابن عربي الطائي** الطبعة مهملة وكتب الناشر في تقديمه (١٩٥٨م) نشر دار الإيمان بيروت ودمشق .

فهرس الموضوعات

اشرف على الطباعة
دار اولي النهى
بيروت
ص.ب: ٧٠٩٣ـ ١١
فاكس: ٥٨١٣٥٩ هاتف: ٥٨٠٣٤١

الصف والإخراج مركز خدمة المؤلف ت ٦٦٢٠٦٩١٤